المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عمادة التعليم عن بعد ـ كلية الشريعة
الانتساب المطور

(قرا ٤٠٣)

مختصر

مقـرر التفسير

بتنسيق العمودين

المستوى السابع

أستاذ المقرر/ د. ابراهيم الدوسري

المختصر تم تلخيصه من المذكرات

بسم الله الرحمن الرحيم

ســورة الأنـبيــاء

الحلقة (١)

الآيــات :

قال تعالى: {وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (٧٩)}.

✓ **المعنى العام للآية :**

في قضية حدثت لداوود وسليمان عليهما السلام وهي: أنه اعتدى أحد أصحاب الأغنام على مزرعة آخر؛ فرعت فيها ليلًا، فأفسدتها، فاختصما عند داود، فقضى لهما بما قضى به، ثم لما خرجا كان لسليمان حكم أو رأي آخر في هذه القضية ، ثم ختم الله تعالى الآية الأخيرة، بما خص به نبيه -عليه السلام- داود من تسخير الجبال، والتسبيح معه من الطير، وهذا من فضل الله تعالى عليهما، هذا فيما يتعلق بالمعنى العام.

✓ **المفردات الغريبة :**

- **الحرث** : وهو الزرع.
- **نفشت** : أي رعت ليلًا.

✓ **المسائـــل :**

المسألة الأولى : قوله تعالى: {وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ} أي أُذكر داود وسليمان، وهذا معطوف على سائر الأنبياء السابقين أي وأذكرهما إذ يحكمان، وليس معنى يحكمان أنهما حكما في وقت واحد، فلا يجوز أن يقضي قاضيان في مجلس واحد.

المسألة الثانية : {فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ} أي فهمناه القضية والحكومة.

وفَضَلَ حكم سليمان حكم أبيه، في أنه أحرز أن يُبقي ملك كل واحد منهما على متاعه، وتبقى نفسه طيبة بذلك، وذلك أن داود -عليه السلام- رأى أن يُدفع الغنم إلى صاحب الحرث فقط.

أما سليمان فقال: بما قضى بينكما نبي الله داود؟ فأخبراه فقال لعل الحكم غير هذا فقال: ينبغي أن تُدفع الغنم إلى صاحب الحرث، فينتفع بها، وتُدفع الحرث إلى صاحب الغنم ليقوم عليه.

فالحاصل أن داود -عليه السلام- حكم بالعدل ، بينما سليمان -عليه السلام- أضاف فضلًا.

المسألة الثالثة :

{وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا} أي أن داود -عليه السلام- لم يخطئ في هذه النازلة، بل فيها أوتي الحُكم والعلم.

وأما قوله تعالى: {فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ} على أن له فضيلة على داود.

المسألة الرابعة :

يقول الإمام الحسن البصري -رحمه الله-: "لولا هذه الآية لرأيت أن القُضاة قد هلكوا، ولكن الله تعالى أثنى على سليمان بصوابه، وعذر داود باجتهاده".

المسألة الخامسة :

إنما يكون الأجر للحاكم المخطئ إذا كان عالمًا بالاجتهاد، والسنن، والقياس، وقضاء من مضى؛ لأن اجتهاده عبادة

لكن إذا قضى إنسانٌ خطأ دون أن يبذل الجهد، ودون أن يكون عنده الأدوات التي من خلالها يتعرف على الحكم، فإنه يكون مخطئًا و آثمًا.

ويدل على هذا قول الرسول -صلى الله عليه وسلم- : (القضاة ثلاثة -وذكر منهم- قاضيان في النار).

المسألة السادسة :

هي رجوع الحاكم بعد قضاءه من اجتهاده إلى اجتهاد آخر أرجح من الأول، وهذا ما فعله داود -عليه السلام-.

قال القرطبي : **ولم يختلف العلماء أن القاضي إذا قضى تجوزًا بخلاف أهل العلم فهو مردود، وإن كان على وجه الاجتهاد، فأما أن يتعقب قاضٍ حكم قاضٍ آخر، فلا يجوز ذلك.**

المسألة السابعة :

{إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ} " إن قيل ما الحكمة في تفريق الشارع بين الليل والنهار"

قلنا الفرق بينهما واضح، وذلك أن أهل المواشي لهم ضرورة إلى إرسال مواشيهم ترعى بالنهار، ومن عنده زرع يتعاهده بالنهار.

المسألة الثامنة :

{وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ}، يقول وهب: "كان داود يمر بالجبال مسبحًا، والجبال تجاوبه بالتسبيح".

معنى (سخرنا) أي جعلناها بحيث تطيعه إذا أمرها بالتسبيح

ويقول قتادة في معنى يسبحن: "أي يصلين معه إذا صلى".

سـورة الحـج

الحلقة (٢)

الآيـات:

قال تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٥) وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦)}.

المفردات الغريبة:

- {الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ} : يقول: المقيم فيه، والبادي - وهو الطارئ من البدو-
- {وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ} أي: من يرد فيه إلحادًا، والإلحاد : الظلم، والميل عن الحق.
- **الصد:** هو المنع.
- **القائمين:** المصلين.
- {وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ} : أي جعلنا له بيتًا.

المسـائـل:

المسألة الأولى :

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ} أي ويمنعون، {عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} يعني الدعوة إلى الله -عز وجل- وعن المسجد الحرام.

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} الخبر محذوف، مقدر عند قوله: {وَالْبَادِ} ، أي: خسروا إذ هلكوا.

{وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} أي: من ينوي فيه شرًا يذيقه من عذابه الأليم.

المسألة الثانية :

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} الظاهر من القرآن أنه المسجد نفسه حول الكعبة. وقيل هو الحرم كله.

والحقيقة أن حكم الحرم سواء في الفضل، وسواء في الوقوع في الإثم أيضًا، و تعظيم الحرم يشمل المسجد الحرام، وما جاوره مما هو في بقعة الحرم.

المسألة الثالثة :

{الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ} أي للصلاة والطواف والعبادة .

{سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ} "سواء في تعظيم حرمته وقضاء النسك فيه، الحاضر، والذي يأتيه من البلاد ؛ فليس أهل مكة أحق من النازح إليه"

وقيل : إن المساواة إنما هي في دُوره، ومنازله، ليس المقيم فيه أولى من الطارئ عليه". فمن جاء أولًا فهو كما قال عمر بن الخطاب: "منى مُنَاخُ من سبق"

روي عن مالك أن الدور ليست كالمسجد، ولأهلها الامتناع منها، والاستبداد بها وقال بهذا جمهور من الأمة والأولى هو ما عليه الجمهور.

المسألة الرابعة :

{وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ} هذا شرط ، وجوابه {نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ}

الظلم أُختلف فيه :

ابن عباس يقول في رواية علي بن أبي طلحة: الشرك.

وعطاء يقول: هو الشرك والقتل.

وقيل: هو قطع الشجر.

يقول ابن عمر: كنا نتحدث أن الإلحاد فيه أن يقول

الإنسان : لا والله ! وبلى والله ! وكلا والله! .

ومن الأقوال أيضًا: أن المعاصي تضاعف بمكة كما تضاعف الحسنات.

وذكروا أيضًا: من الظلم احتكار الطعام في الحرم، وهذا ورد عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم- وهو قول عمر. وحملها على العموم أولى.

فإذا الإلحاد في قوله تعالى: {وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ} يشمل جميع المعاصي من الكفر إلى الكبائر إلى الصغائر.

☒ الآية السادسة والعشرون :

المسألة الأولى : قوله تعالى: {وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ} أي واذكر إذ بوأنا لإبراهيم.

{أَنْ لَا تُشْرِكْ} هي مخاطبة لإبراهيم - عليه السلام-.

وتطهير البيت :عام في الكفر والبدع وجميع الأنجاس والدماء.

✓ المناسبة بين الآيتين :

مع قوله تعالى: {وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} . أي إذا كان البيت قد طُهر وأقيم على هذا الأساس وما حوله هو في حكمه؛ فإنه لا ينبغي أن يطرأ عليه من الظلم، أو من الصد عن سبيل الله، أو من الكبائر، أو ما شابهها، فكل هذا يتنافي مع حرمة هذا البيت العتيق.

{وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ} **هم المصلون.** .

الحلقة (٣)

الآيـــــات:

قال تعالى: {وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨)}.

✓ المفردات الغريبة:

- {يَأْتُوكَ رِجَالًا} أي رجَّالة، جمع راجل، مثل صاحب وصِحاب، يعني يأتون على أرجلهم.
- {وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ} أي ركبانًا على ضُمْرٍ من طول السفر، الضامر هو: البعير المهزول الذي أتعبه السفر.

والآن تعددت هذه المراكب، فمنها: ما يكون على السيارات، أو على الطائرات، أو على السفن فكل هذا يدخل في الركوب.

- {مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ} أي بعيد.
- {لِيَشْهَدُوا لَهُمْ مَنَافِعَ } **يقول ابن قتيبة**: هي التجارة.
- {وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ} هي يوم التروية، ويوم عرفة، ويوم النحر، ويقال أيام العشر كلها.

✓ المسائـــــل:

المسألة الأولى :

{وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ} هذا معطوف على {وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ} والأذان هو الإعلام، يعني أعلِم الناس بما أوحى الله إليك من الحج إلى هذا البيت العتيق.

المسألة الثانية :

{يَأْتُوكَ رِجَالًا} قال: "يأتوك"، وإن كانوا يأتون الكعبة، قال: لأن المنادي هو إبراهيم فمن أتى الكعبة حاجًا فكأنما أتى إبراهيم.

المسألة الثالثة :

تقديم الرجال على الركبان قال الإمام القرطبي: "وقدم الرجال على الركبان في الذكر لزيادة تعبهم في المشي"،**ففيه نوع من التسلية لهؤلاء الذين قد أجهدهم المجيء إلى بيت الله الحرام مشاة.**

{وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ} هنا ذكر سبب الضمور فقال: أي أثر فيها طول السفر.

رد الضمير إلى الإبل تكرمة لها لقصدها الحج مع أربابها،

المسألة الرابعة :

خلاف بين العلماء في أيهما أفضل المشي أم الركوب !

يقول ابن عباس : ما آسى على شيء فاتني إلا أن لا أكون حججت ماشيا **وقال ابن أبي نجيح**: حج إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ماشيين.

المسألة خامسة :

لا خلاف في جواز الركوب والمشي.

☑ أيهما أفضل الركوب أم المشي؟

من نظر إلى المشقة، ونظر إلى بدء القرآن الكريم؛ فإنه يرى إلى أن المشي هو الأفضل وهذا هو ما اختاره ابن عباس .

⇦ بينما ذهب الإمام مالك والشافعي إلى أن الركوب أفضل؛ لأنه هو الذي فعله الرسول – صلى الله عليه وسلم-.

⇦ وذهب غير الشافعية والمالكية إلى أن المشي أفضل؛ لما فيه من المشقة على النفس، وهذا هو مذهب ابن عباس.

⇦ يجاب على من يرى أن الركوب هو الأفضل: بأن النبي – صلى الله عليه وسلم – إنما فعل هذا الركوب؛ لمزية فيه، ولخصيصة فيه –عليه الصلاة السلام- ؛ لأنه إنما فعل هذا لأجل أن يدل الناس على مناسك الحج، وأن يراه الناس.

فمن يستطيع المشي فهو أفضل له.

☒ يقول الله تعالى في الآية الثانية:

{لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ} وهذا تعليل لشهود الحج،

المسألة الأولى :

{لِيَشْهَدُوا} أي أذن بالحج ليحضروا ، {مَنَافِعَ لَهُمْ} أي مناسك،كعرفات والمشعر الحرام. وقيل: المغفرة، وقيل: التجارة.

والأظهر العموم.

➢ أما قوله تعالى: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ} فهذا خاص بالتجارة، كما في قراءة ابن عباس {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ في مواسم الحج}.

المسألة الثانية :

{وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ} أي يحجوا لأجل أن يذكروا اسم الله في أيام معلومات، وقد يكون هذا من عطف الخاص على العام.

يقول القرطبي: والمراد بذكر اسم الله: ذكر التسمية عند الذبح والنحر.

هذه الآية فيها أيضًا إنحاء على الكفار ، وذم لأحوالهم من طرف خفي؛ وذلك لأنهم كانوا يذبحون على أسماء أصنامهم .

المسألة الثالثة :

{عَلَى مَا رَزَقَهُمْ} أي على ذبح ما رزقهم أو عند ذبح ما رزقهم، {مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ} والأنعام هي: الإبل، والبقر، والغنم.

المسألة الرابعة :

{فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ} هنا الأمر للندب عند الجمهور.

المسألة الخامسة :

ما يكون في الدماء من دماء الكفارات فإنه لا يجوز أن يأكل منها صاحبها، ولا حتى النذر.

ومشهور مذهب مالك أنه لا يأكل من ثلاث: جزاء الصيد، ونذر المساكين، وفدية الأذى ووافقه على ذلك جمهور فقهاء الأمصار.

المسألة السادسة :

{وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ} يدل على وجوب إخراج النذر.

المسألة السابعة : {فَكُلُوا مِنْهَا} ناسخ لفعلهم ؛ لأنهم كانوا يحرمون لحوم الضحايا على أنفسهم ، وبقول النبي – صلى الله عليه وسلم: (من ضحى فليأكل من أضحيته)، ولأنه – عليه السلام – أكل من أضحيته وهديه.

إذًا هذه الآيات تشير إلى تصحيح للأحوال والأوضاع التي أفسدها أهل الجاهلية

المسألة الثامنة :

{وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ} البائس: بئس، يبأس، بأسًا، إذا افتقر ، والفقير من صفة البائس، فكأن هذا الوصف فيه إلماح للمُحسن، وللمضحي، وللمهدي إلى أن هذا الفقير إنما استحق هذه الصدقة؛ لأجل ما أصابه من البؤس.

الحلقة (٤)

الآيـــــــات :

يقول الله تعالى: {ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ(٢٩) ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ(٣٠) حُنَفَاء لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ(٣١)}.

✓ المفردات الغريبة :

■ **التَّفَث** : هو الأخذ من السائب، والأظفار ، بمعنى قص الأظفار، ونتف الإبطين، وحلق العانة. طبعاً يشمل أيضاً الحلق عموماً وإزالة الوسخ، **فإذًا التفث : هو كل ما كان من الأوساخ التي في أصل خلقة الإنسان؛ مما يزال منه، أو مما علق به** ، ويكون ذلك أيضاً بالغُسل.

■ {وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ} ما في سورة المائدة.

■ **السحيق** : هو البعيد، هنا فرق بين السحيق والبعيد وبين العميق ، **فهناك البعد المكاني يعني البعد الأفقي، بينما هنا البعد الذي يكون في العمق، ففرق بين البعدين، فذاك بعد محمود وهذا بعد مذموم**، ومنه يقال: بعداً وسحقاً وأسحقه الله.

✓ المســـائـــل :

المسألة الأولى :

{ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ} بعد نحر الضحايا والهدايا مع ما بقي عليهم من أمر الحج، وهذا معطوف {وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ} يعني هذه أعمال من أعمال الحجيج التي تكون في أيام النحر.

والتفث إزالته تكون عند الخروج من الإحرام، ، أي بعد الحلق، مثل: قص الأظفار، ونتف الإبط، وحلق العانة

ويمكن أن يكون أيضاً: بعد أن يرمي ويطوف وإن كان الأولى أن يفعل هذا قبل لفعل الرسول صلى الله عليه وسلم.

المسألة الثانية :

{وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ} **أمر بالوفاء بالنذر مطلقاً إلا ما كان معصية**، والوفاء بالنذر هنا حالة مما يفعله بعض الحجيج ممن يقومون بعقد نذر لأي سبب من الأسباب، كأن يعقد نذراً إن بلغه الله تعالى البيت العتيق أن يفعل كذا وكذا.

المقصود {وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ} أن هذا إقرار لهم ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه).

عطف عليها {وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ} **الترتيب جاء على طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم في حجه.**

والطواف المذكور هنا في هذه الآية هو طواف الإفاضة

يقول الإمام الطبري كما نقله عنه القرطبي: لا خلاف فيه.

المسألة الثالثة :

يقول الإمام القرطبي: اختلف المتأولون في وجه صفة البيت بـ "العتيق"

⇦ نقل **قول مجاهد والحسن** فقال: العتيق هو القديم، **وفي الصحيح أنه أول مسجد وضع في الأرض**.

⇦ وقيل عتيق لأن الله أعتقه من أن يتسلط عليه جبار بالهوان إلى انقضاء الزمان.

⇦ وقالت فرقة: سمي عتيقاً لأن الله عز وجل يعتق فيه رقاب المذنبين من العذاب.

⇦ وقالت طائفة: سمي عتيقاً لأنه لم يملك موضعه قط.

القول الأصح الذي تشهد له اللغة، ويعضده النظر، ويؤيده أيضاً الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،هو القول الأول، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إنه أول مسجد وضع في الأرض).

قال مجاهد: خلق الله البيت قبل الأرض بألفي عام وسمي عتيقاً لهذا.

☒ ننتقل إلى الآية التالية :

قوله تعالى : {ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ .....} **الخ الآية.**

المسألة الأولى : تلاحظون أنني حينما قرأتها وقفت على {ذَلِكَ} ، أي: "الواجب ذلك" أو "الزموا ذلك" أو "فرضكم ذلك"

{ذَلِكَ} متصل بالآية السابقة ويحتمل أن تكون في موضع نصب بتقدير: "امتثلوا ذلك".

{وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ} **هي أفعال الحج المشار إليها في قوله تعالى:** {ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ}، ويدخل في ذلك تعظيم المواضع.

الحرمات عام تشمل جميع أوامر الله عز وجل، وفرائضه، وسننه، ويدخل فيها دخولاً أولياً ما يتعلق بأفعال الحج.

{فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ} **التعظيم إما أن يكون: للتفضيل خير له من التهاون، أو التعظيم واحد من الخيرات التي ينتفع بها والأظهر أنها ليست على التفضيل.**

المسألة الثانية :

{فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ} الرجس: الشيء القذر، والوثن: هو التمثال من خشب أو حديد أو ذهب أو فضة ونحوها

قال عدي بن حاتم: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال: (ألق هذا الوثن عنك) .

وسمي الصنم وثناً؛ لأنه ينصب ويركز في مكان لا يبرح عنه، فالحاصل أن المعنى: اجتنبوا عبادة الأوثان.

المسألة الثالثة :

{وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ} الزور: هو الباطل، والكذب، وكل ما عدا الحق.

سميت هذه الأقوال بالزور؛ لأنها تميل عن الحق، والازورار هو الميلان.

ننتقل إلى قوله تعالى :

{حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ .....} **الخ الآية.**

المسألة الأولى :

{حُنَفَاءَ لِلَّهِ} هذا **نصب على الحال**، يعني افعلوا هذه الأفعال حالة كونكم حنفاء لله.

والمعنى : **مستقيمين، أو مسلمين، مائلين إلى الحق، لأن الحنف هو الميل أيضاً، لكنه ميل من الباطل إلى الحق؛** بينما الزور ميل من الحق إلى الباطل.

{حُنَفَاءَ لِلَّهِ} كأنهم حينما داوموا على هذا العمل ولازموا الشرك وعبادة الأوثان، صار هو الأصل عندهم، فأمرهم الله تعالى أن يميلوا عنه .

⇦ وقيل معنى حنفاء: **أي حجاجا، وهو مخالف للأولى**

⇦ **فالحاصل أن حنفاء هو عموم الحق، ليس في الحجيج فقط.** .

المسألة الثانية : {وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ} .

⇦ هذا إما أن يكون يوم القيامة.

⇦ وإما أن يكون عند خروج روحه وصعود الملائكة بها إلى السماء الدنيا، فلا يُفتح لها، فيُرمى بها إلى الأرض.

وقال: {فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ} أي تقطعه بمخالبها.

الحلقة (٥)

■ **الآيـــــات :**

قال تعالى : {ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢) لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٣٣)}.

✓ **المســـــائـــل:**

المسألة الأولى : في اسم الإشارة {ذَلِكَ} ثلاثة أوجه :

١. أن يكون في موضع رفع بالابتداء، أي: ذلك أمر الله.

٢. أن يكون موضع رفع على خبر ابتداء محذوف.

٣. أن يكون في موضع نصب، أي: اتبعوا ذلك.

المسألة الثانية :

{وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ} الشعائر: جمع شعيرة، وهو كل شيء لله تعالى فيه أمر أشعر به وأعلن.

شعائر الله: أعلام دينه، وهي ما جاء من الله عز وجل، ولاسيما فيما يتعلق بالمناسك.

المسألة الثالثة :

{ فَإِنَّهَا تَقْوَى الْقُلُوبِ}

⇦ إذا التقدير الأول: تعظيم الشعائر من تقوى القلوب. فيجوز تذكير الضمير .

⇦ التقدير الثاني: الشعائرُ من تقوى القلوب.

والذي يظهر هو الأول

المسألة الرابعة :

{فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ} قرئ القلوب بالرفع على أنها فاعل بالمصدر الذي هو تقوى

بمعنى: القلوب هي التي تنشئ هذا الشيء ؛ لأن حقيقة التقوى في القلب، ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (التقوى هاهنا) وأشار إلى صدره، **وهذه قراءة شاذة،** والقراءات الشواذ يستفاد منها في التفسير.

المسألة الخامسة :

{لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ} أي البُدْن ، مثل: الركوب، والنسل، والصوف،

يقول المؤلف: فإذا صارت بُدناً هدياً فالمنافع أيضاً ركوبها عند الحاجة وشرب لبنها بعد ري فصيلها.

المسألة السادسة : يرى بعض الفقهاء أنه يستفاد من ركوبها؛ لكن الركوب الذي لا يضر بها . **فإذا لم يحتج إليها فإنه لا يركبها إلا في حالة الضرورة.**

لهذا **يرى الإمام أبو حنيفة والشافعي** إن أنقصها الركوب المباح بعض القيمة وقلل من قيمتها، قال: فعليه قيمة ذلك، ويتصدق به.

الإمام مالك رحمه الله يقول: لا بأس بركوب البدنة ركوباً غير فادح، والمشهور عنه أنه لا يركبها إلا إذا اضطر إليها .

قوله تعالى: {لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى}

والأجل المسمى على هذا القول: نحرها، وهذا هو قول عطاء بن أبي رباح.

أما إذا كان المقصود بالشعائر سائر المناسك، فإن هذا يكون أعم.

المسألة السابعة : {ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ} يريد أنها تنتهي إلى البيت، وهو الطواف، فقوله محلها مأخوذ من إحلال المحرم، قال: والمعنى أن شعائر الحج كلها من الوقوف بعرفة ورمي الجمار والسعي ينتهي إلى طواف الإفاضة بالبيت العتيق.

وقال عطاء: ينتهي إلى مكة. إذن قول عطاء حصرها على البُدْن.

وقال الشافعي: للحرم، يقول رحمه الله: وهذا بناء على أن الشعائر هي البدن.

والذي يظهر من سياق الآية وهو أن تعظيم شعائر الله تعالى يتدرج في سائر المناسك إلى أن ينتهي إلى البيت العتيق بانتهاء الحج.

الحلقة (٦)

الآيـــــات :

قال تعالى : {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}.

✓ **صلة الآيات بما قبلها :**

لما ذكر تعالى الذبائح بيّن أنه لم يُخْلِ منها الأمة.

✓ **المســـائل :**

المسألة الأولى : {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا} الأمة: القوم المجتمعون على مذهب واحد ، والمنسك: الذبح وإراقة الدم.

الذبيحة : وهي النسيكة، وجمعها: نُسُك والنسك يشمل أيضاً أنواع الطاعات، ولهذا يقال لأعمال الحج: مناسك.

يقول الأزهري أنه يدل على موضع النحر في هذا الموضع لأن المعنى: ولكل قوم جعلنا مكاناً يجتمعون فيه لذبح قربانهم لله ، فالمنسك إذا هو موضع النحر في هذا السياق.

وقيل: إن المناسك في تسميتها قيل: لترداد الناس إليها من الوقوف بعرفة ورمي الجمار.

وقيل هو: المذهب، **قال به ابن عرفة** ويعني به: العبادات.

لكن كما يظهر أن رأي الأزهري أوجه وهو المراد به: المكان.

وقال الفراء: منسكاً أي: عيداً.

وقيل: حجاً.

المسألة الثانية :

{فَلَهُ أَسْلِمُوا} معناه: لحقه، ولوجهه، وإنعامه؛ آمنوا وأسلموا وقال القرطبي :أي له أطيعوا وانقادوا.

فكأن المعنى الثاني المعنى اللغوي، والمعنى الأول هو المعنى الشرعي، وبعضهما يتمم بعض.

المسألة الثالثة :

{وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ} والمخبت: هو المتواضع والخاشع من المؤمنين لأن أصل الخبت ما انخفض من الأرض والمعنى أي: بشرهم بالثواب الجزيل.

يقول الإمام مجاهد: المخبتون: المطمئنون بأمر الله عز وجل.

ويقول عمرو بن أوس: المخبتون: الذين لا يظلِمون، وإذا ظُلموا لم ينتصروا.

☒ الآية الثانية جاءت لتفسير آخر الآية الأولى :

المسألة الأولى : {وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ} فسرها الله عز وجل فقال: {الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}

ولهذا يحسن الوقف على قوله تعالى: {وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ} ؛ لأجل أن تشتاق النفس.

الصفة الأولى: وجل القلب، أي خافت وحذرت مخالفته.

الصفة الثانية: الصبر وإقامة الصلاة.

وقد ورد أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق وعمر الفاروق وعلي رضي الله عنهم أجمعين.

➢ القراءات في {الصَّلَاةِ} :

⇦ قراءة الجمهور: {الصَّلَاةِ} بالخفض على الإضافة.

⇦ وقرأ أبي عمرو في قراءة شاذة: بالنصب على توهم التنوين.

المسألة الثانية :

هذه الآية نظير قول الله عز وجل: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢)} وقوله {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ} وذكر أيضاً آية المائدة: {وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ}.

هذا ما يسمى بالنظائر، أنه يكون للآية آيات أخرى تشابهها في المعنى أو في بعض المعاني .

الحلقة (٧)

الآيـــــــــات :

قال تعالى : {وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦) لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ (٣٧)}.

✓ المفردات الغريبة :

- وجبت جنوبها : أي سقطت ، ومنه يقال: وجبت الشمس إذا غربت.
- القانع : هو السائل.
- المعتر: هو الذي لا يسأل.

⇦ ما الفرق بينهما؟ القانع : السائل، يقال: قنع، يقنع، قنوعا، من الرضا.

والمعتر: الذي يعتريك، أي يلم بك لتعطيه ولا يسأل.

✓ المســـــــائـل :

المسألة الأولى ما هي البُدْن؟

البدن: واحدتها بدنة، كما يقال: ثَمَرة وثُمُر وثُمْر ، وخَشَبة وخُشُب وخُشْب.

نقول "البُدْن" ، و "البُدُن" ، والقراءة المتواترة بإسكان الدال.

سميت بُدْن أو بدنة: لأنها من السمن، فيقال: فلان بدين أي سمين.

المسألة الثانية : هل تطلق "البُدْن" على غير الإبل؟

المشهور طبعا أن البدن هي الإبل، وعلى هذا أكثر العلماء.

ويرى بعضهم أنها تطلق على البقر أيضا، وهذا قول لبعض العلماء،

لكن الصحيح ما ذهب إليه الإمام الشافعي وعطاء وغيره، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: (من راح في الساعة الأولى، فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية، فكأنما قرب بقرة).

مما يدل على هذا اللحاق، {فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا} هذا لا يكون إلا في الإبل.

وفي تخصيص البدن بالذكر دون ذكر البقر والغنم؛ لما فيها من الخلق العظيم

الرأي الثالث يرى أن البدنة تشمل أيضا الغنم، وهذا حكي عن ابن شجرة وهذا قول شاذ.

فالحاصل أن البُدْن هي الإبل التي تهدى للكعبة.

المسألة الثالثة :

{مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ} نص في أنها بعض الشعائر.

قوله تعالى: {لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ} هو يشمل خير الدنيا والآخرة.

المسألة الرابعة :

{فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ} أي انحروها على اسم الله عز وجل.

ومعنى صواف: أي قد صفت قوائمها. والإبل تنحر قائمة معقولة ،أي رجلها اليسرى.

هنا قول شاذ للإمام عطاء : يقول : يستحب نحرها باركة.

ولهذا قال الإمام القرطبي والصحيح ما عليه الجمهور لقوله تعالى: {فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا} وهذا نص صريح.

المسألة الخامسة :

{وَجَبَتْ جُنُوبُهَا} يريد إذا سقطت على جنوبها ميتة .

فكلوا منها : أي وقت قرب الأكل

المسألة السادسة :

{فَكُلُوا مِنْهَا} الأمر على الندب لأن أهل الجاهلية كانوا يحرمون على أنفسهم أكل الهدايا والضحايا.

❖ في قوله تعالى في الآية التالية {لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا.....} عدة مسائل.

المسألة الأولى : كان من عادات الجاهلية أنهم لا يأكلون من اللحوم، أيضا كان من عاداتهم أنهم يلطخون الكعبة بدم قرابينهم، فعطف الحديث عز وجل على ذم هذه الحالة، وبيان الحالة الحقيقية التي يريدها الله عز وجل؛ وهي تقوى القلوب، فقال: {لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ} أي لا يصل إلى الله عز وجل ما تلطخون به الكعبة من دماء البدن التي تذبحونها.

✓ سبب نزول الآية :

قال ابن عباس: "كان أهل الجاهلية يضرخون البيت بدماء البُدْن، فأراد المسلمون أن يفعلوا ذلك فنزلت الآية".

واللحوم والدماء هي الفاعلة "الفاعل مؤخر " وتقدير الكلام: "لن تنال اللحوم والدماء اللهَ".

والقراءة (لن ينال الله) و (يناله) بالياء فيهما.

وعن يعقوب بالتاء فيهما، وهي قراءة متواترة، وهي القراءة الثامنة بعد القراءات السبع المشهورة.

المسألة الثانية :

{كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ}ذللها و مكننا من تصريفها.

المسألة الثالثة :

{لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ} أي فعلنا ذلك لأجل إحياء ذكر الله عز وجل.

وأما الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فإن هذا مما لم يرد ، ولم يثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان يصلي ويسلم على نفسه عند الذبح ، وما ورد عن

الإمام مالك أنه كره "اللَّهُمَّ إن هذا منك ولك" فلعله لم يصل إليه الحديث الوارد عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

{وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ} وهذه درجة أعلى؛ لأن الإخبات هو نوع من الإحسان، أما الإحسان فهو أعلى الدرجات.

وروي أنها نزلت في الخلفاء الأربعة.

الحلقة (٨)

الآيـــات :

قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (٣٨) أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩)}.

✓ سبب نزول الآيات :

نزلت بسبب أن المؤمنين لما كثروا في مكة وآذاهم الكفار وهاجر من هاجر إلى أرض الحبشة ؛ أراد بعض مؤمني مكة أن يقتل من أمكنه من الكفار ، ويغتال ، ويغدر ، ويحتال ، فنزلت هذه الآية {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (٣٨)}. إذا .

✓ المعنى العام للآيتين :

يبين الله تعالى أنه يدفع ويدافع عن المؤمنين بأن يحميهم وينصرهم ، وهو لا يحب كل خوان كفور ،ثم إنه سبحانه وتعالى قد أباح للمؤمنين قتال الكافرين بسبب ظلمهم ، ووعد بنصرهم في قوله تعالى : {وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩)}.

☑ يذكر الإمام القرطبي ثلاثة معاني ، وهي :

المعنى الأول : فوعد فيها سبحانه بالمدافعة ، ونهى أفصح نهي عن الخيانة والغدر .

المعنى الثاني : إدامة التوفيق وثبات الإيمان .

المعنى الثالث : يدافع عن المؤمنين بإعلائهم بالحجة.

☑ القراءة في {يدافع} قراءتان :

⇦ فـ {يُدَافِعُ } فيها مفاعلة بين الله عز وجل وأولئك الكافرين.

⇦ القراءة الأخرى : {إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا}

لأن هناك فرق بين الدفعين ، فدفع الله عز وجل لا يقارن بمدافعة الكفار.

الآية التاسعة والثلاثون :

هي قول الله عز وجل : {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ} وقراءة ابن كثير : {أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ} وكلاهما متواترتان .

✓ المســـائـل :

المسألة الأولى :

{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ} أو أَذِن الله للذين يقاتلون ،الذي أذن هو الله عز وجل .

يقول الله تعالى : {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ} أي : أَذِنَ الله للذين يصلحون للقتال في القتال .

يقول الإمام الضحاك المفسر : "استأذن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتال الكفار إذ آذوهم بمكة ، فأنزل الله: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ} ، فلما هاجر إلى المدينة نزلت {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا}".

وهذا ناسخ لكل ما في القرآن من إعراض وترك صفح.

"وهذا ناسخ لكل ما في القرآن من إعراض وترك صفح" ، فهذا ليس على إطلاقه، فإنه يبقى موضوع الإعراض الصفح على بابه ،لأن هذا من مبادئ الإسلام التي لا تتغير.

قال ابن عباس وابن جبير : نزلت عند هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، يريد قوله تعالى : {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا} .

وروى النسائي والترمذي عن ابن عباس قال : لما أُخْرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر : أخرجوا نبيهم لَيَهْلِكُن ، أي ليهلكن أهل قريش الذين أخرجوه ، فأنزل الله : {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩)} **فقال أبو بكر** : لقد علمت أنه سيكون قتال ، فقال هذا حديث حسن .

المسألة الثانية : في هذه الآية دليل على أن الإباحة من الشرع ؛ لأن : "أُذِن" معناه أبيح خلافا للمعتزلة .

✓ القراءات :

❖ " أذن " :

⇦ قرأ الجمهور " أُذِنَ " بضم الهمزة .

⇦ وابن كثير ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف ، يقرؤون " أَذِنَ " بفتح الهمزة .

❖ يقاتلون :

⇦ يقاتِلُون : قرأ ابن كثير ، وأبي عمر ، وشعبة ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف ، ويعقوب ، بكسر التاء .

⇦ يقاتَلون : قرأ الباقون بفتح التاء.

الحلقة (٩)

الآيـــــــات :

قال تعالى : {الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}.

✓ صلة الآية بما قبلها :

لما ذكر الله أن المؤمنين أذن لهم بالقتال بسبب ظلمهم، فقد ذكر الله تعالى وجه هذا الظلم ، أو جانباً منه .

المســـائل :

المسألة الأولى :

{الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ} هذا أحد ما ظُلِموا به وقوله : إلا أن يقولوا ربنا الله ، استثناء منقطع بمعنى لكن لقولهم .

☑ القراءات في {دَفْعُ} :

⇦ {ولولا دفاع الله} وهذه قراءة نافع .

⇦ و قراءة بقية القراء : {وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ}.

المسألة الثانية :

{وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ} "لولا ما شرعه الله للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء، لاستولى أهل الشرك وعطَّلوا ما بنته أهل الديانات من مواضع العبادات، ولكنه دفع بأن أوجب القتال؛ ليتفرغ أهل الدين للعبادة ، فالجهاد أمر متقدم في الأمم، وبه صلحت الشرائع واجتمعت المُتعبَّدات، فكأنه قال : أُذِن بالقتال فليقاتل المؤمنون. ثم قوى هذا الأمر بالقتال بقوله: {وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ} الآية، أي لولا القتال والجهاد لتُغُلِّب على الحق في كل أمة

المعنى، أي لولا هذا الدفع لهُدمت في زمن موسى الكنائس ، و في زمن عيسى الصوامع والبيع، وفي زمن محمد عليه السلام المساجد.

■ {لَّهُدِّمَتْ} : أي من هدمت البناء ، أي نقضته فانهدم .

قال خويز منداد – وهو أحد علماء المالكية –:: تضمنت هذه الآية المنع من هدم كنائس أهل الذِّمة وبِيَعهم وبيوت نيرانهم ، ولا يتركون أن يُحدِثوا ما لم يكن ، ولا يزيدون في البنيان لا سعةً ولا ارتفاعاً،ولا ينبغي للمسلمين أن يدخلوها ولا يصلوا فيها ، ومتى أحدثوا زيادة وجب نقضها ،ويُنقض ما وجد في بلاد الحرب من البِيَع والكنائس ، و إنما لم ينقض ما في بلاد الإسلام لأهل الذِّمَّة لأنها جَرَت مجرى بيوتهم وأموالهم التي عاهدوا عليها في الصيانة ولا يجوز أن يُمكَّنوا من الزيادة لأن في ذلك إظهار أسباب الكفر ، وجاز أن يُنقض المسجد ليُعاد بنيانه وقد فعل عثمان ذلك بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم .

المسألة الثالثة : هل تُنسف وتُقفل وتهدم الكنائس والمعابد ، أم أنها تبقى؟

بل تبقى لكن لا يُزاد فيها ولا يُرفع بنيانها ، أما بلاد الإسلام التي من أصلها بلد إسلام وليس فيها هذا الشيء أصلاً ، فإنه لا مجال لهذا الحديث؛ لأنها لا يجوز إنشاؤها أصلاً.

المسألة الرابعة : القراءات في {لهدمت} :

⇦ {لهُدِمتْ}.

⇦ {لهُدِّمَتْ}

✓ المفردات الغريبة :

■ الصوامع : : هي للصابئين، والأشهر أنها خاصة برهبان اليهود .

- والصلوات : يريد بها كنائس اليهود ، إذاً اليهود لهم صوامع لرهبانهم ، و لهم صلوات لسائر اليهود .
- و البيع للنصارى ، و المساجد للمسلمين .

☑ **الضمير هل هو يعود إلى الصوامع ، أم إلى الصلوات ، أم إلى المساجد ؟**

أولا: الذي يجب في كلام العرب على حقيقة النظر، أن يكون عائداً على المساجد لا على غيرها؛ لأن الضمير يليها."

ثانيا: "ويجوز أن يعود على صوامع وما بعدها" ويكون المعنى وقت شرائعهم وإقامتهم الحق".

والأظهر أنه يعود على الصوامع وما بعدها

المسألة الخامسة: فإن قيل لم قُدِّمت مساجد أهل الذِّمة ومصلياتهم على مساجد المسلمين ؟

قيل : لأنها أقدم بناء، و قيل لقربها من الهدم، وقرب المساجد من الذكر .

☑ **لكن هنا فائدة جيدة وهي لماذا أُخِّرَ ذكر المساجد ؟**

نقول : **أُخِّر ذكر المساجد لعلتين :**

الأولى: من الناحية الوقوعية أو من الناحية الزمنية.

الثانية: لأجل أن يُعطف عليها اسم الله عز وجل.

الثالثة أن المساجد أقرب لذكر الله عز وجل فكانت أقرب في الذكر لها ، بينما لما كانت الصوامع أقرب للهدم ناسب أن تجاور الهدم قال: {لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ}.

المسألة السادسة : {وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ} أي من ينصر دينه و نبيه.

{إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ} أي : قادر .

والحقيقة أننا نثبت صفة القوة بما يليق به عز وجل، فلا حاجة لأن تؤول صفة القوة إلى القادر.

{عَزِيزٌ} : أي جليل شريف، **قال الزجّاج** ، وقيل: الممتنع الذي لا يرام .

الحلقة (١٠)

الآيـــــات :

قال تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢) لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٣) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٤)} .

المعنى العام للآيات :

المعنى العام يتحدث في هذه الآيات عن الأنبياء والمرسلين الذين يُوحِي الله إليهم عز وجل بما يوحيه إليهم من الذكر الحكيم ، ويذكر الله تعالى أنَّ هذا الشيطان يحاول أن يدُّس وأن يتكلم في هذا الوحي من خلال جنوده ، ليُخلَّ ما يلقيه الله عز وجل على الأنبياء ، لكن هيهات هيهات ، إذ يُحكم الله تعالى هذه الآيات وهو الموصوف بالعلم والحكمة ، وإنَّ ما يفعله هذا الشيطان وأعوانه في حقيقة الأمر لا يؤثر على هذا الذكر ، ولا يؤثر على الأنبياء ولا على أتباع الأنبياء ، وإنَّما يكون أثره على من في قلوبهم مرض ، فهم الذين يزيدهم مرضًا إلى مرضهم ، ويزيد قلوبهم قسوةً إلى قسوتها .

معاني الكلمات :

- {تَمَنَّى} : أي قرأ وتلا.
- {أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ}: أي في قراءته وتلاوته .

✓ **المســـائل :**

المسألة الأولى :

هل الرسول هو النبي والنبي هو الرسول بمعنى واحد ؟ أم أنَّ بينهما فرقًا ؟

➢ **القول الأول :** أنَّ الأنبياء صلوات الله عليهم فيهم مرسلون وفيهم غير مرسلين .

➢ **القول الثاني :** لا يجوز أن يُقال نبيّ حتى يكون مرسلًا .

والصحيح أنَّ كل رسول نبيّ ، وليس كل نبيّ رسولًا.

المسألة الثانية : الإشكال الذي في هذه الآية : هو ما جاء من الروايات الكثيرة في قصة الغرانيق .

روى الليث عن يونس عن الزُهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١)} [سورة النجم] ، فلما بلغ {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (٢٠)} [سورة النجم] سها ، فقال: (إنَّ شفاعتهُنَّ تُرتجى) ، فلقيه المشركون والذي في قلوبهم مرض ، فسلموا عليه.

يقول أبو بكر البزاز : "هذا لا نعلمه يُروى عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسنادٍ متصلٍ يجوز ذكره".

يقول القرطبي : {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ} أي في تلاوته ، فأخبر الله تعالى أنَّ من سنته في رسله وسيرته في أنبيائه إذا قالوا عن الله تعالى قولًا زاد الشيطان فيه من قِبل نفسه لا أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم تكلم به ، لكنه لا يُمكَّن من ذلك ، أي أنه لا يؤثر على الأنبياء ولا يستطيع أن يُلجأ الأنبياء إلى أن يتكلموا بما خلطه بما أُوحِي إليهم ، فإن الله تعالى يُحكم آياته.

أما القول أنَّ الشيطان أكرهه حتى قال كذا ، فهو محال ، إذ ليس للشيطان قدرة على سلب الإنسان الاختيار ، قال الله تعالى: {وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي}

روي عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما يقول : "{إِلَّا إِذَا تَمَنَّى} قال : إلا إذا حدَّث {أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ} قال : في حديثه ، {فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ} قال : فيبطل الله ما يلقي الشيطان". قال النحاس : هذا من أحسن ما قيل في هذه الآية وأعلاه وأجله .

- معنى {فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ} أي يبطله

☒ الآية الثالثة والخمسون :

يقول الله عز وجل معللًا هذا الأمر {لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} أي أنَّ الذين يؤثر عليهم قول الشيطان هم الذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم ،

فتنة أي ضلالة .

{لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} هم الذين في قلوبهم شرك ونفاق

يقول الإمام الثعلبي : وفي الآية دليلٌ على أنَّ الأنبياء يجوز عليهم السهو والنسيان والغلط بوسواس الشيطان ، أو عند شغل القلب ، حتى يغلط ثم يُنبَّه ويرجع إلى الصحيح ، وهو معنى قوله تعالى: {فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ} ولكن إنَّما يكون الغلط على حسب ما يغلط أحدنا ، فأما ما يُضاف إليه من قولهم (تلك الغرانيق العُلا) فكذبٌ على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لأنَّ فيه تعظيم الأصنام ، ولا يجوز ذلك على الأنبياء ، كما لا يجوز أن يقرأ بعض القرآن ثم يُنشد شعرًا ويقول غلطت وظننته قرآنًا .

{وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ} أي الكافرين في خلاف وعصيان ومُشاقَّة.

☒ الآية الرابعة والخمسون :

ثم يذكر الله عز وجل تعليلًا آخر {وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ}.

{ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} أي من المؤمنين ، وقيل أهل الكتاب

{أَنَّهُ} أي أنَّ الذي أُحكم من آيات القرآن هو الحق من ربك .

{فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ} أي تخشع وتسكن ، وقيل تخلص أو تُخلِص لله عز وجل.

{وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} أي يُثبتهم على الهداية .

الحلقة (١١)

الآيـــــات :

قال تعالى : {ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (٦٠)}.

☑ أوجه الوقف والابتداء في كلمة {ذَلِكَ} :

"ذلك" حينما نبدأ بهذه الآية فيستحسن الوصل ، بينما لو كان الكلام متصل بما قبله فإنه يحسن الوقف عليها ؛ لأنها متصلة بما قبلها.

{وَمَنْ عَاقَبَ} الواو هنا استئنافية \ بخلاف الآية التالية مثلا {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ} أو {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ} فلا يحسن الوقف على ذلك

فإعراب {ذَلِكَ} في هذه الآية {ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ} في موضع رفع، أي ذلك الأمر الذي قصصنا عليك.

سبب نزول الآية :

الأول : **قول مقاتل** ، يقول : نزلت في قوم من مشركي مكة ، لقوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم ، فقالوا إن أصحاب محمد يكرهون القتال في الشهر الحرام فاحملوا عليهم ، فناشدهم المسلمون ألا يقاتلونهم في الشهر الحرام ، فأبى المشركون إلا القتال ، فحملوا عليهم ، فثبت المسلمون ونصرهم الله على المشركين ، وحصل في أنفس المسلمين من القتال في الشهر الحرام شيء ؛ فنزلت هذه الآية .

الثاني : يذكر القرطبي في نزول الآية : أنها نزلت بقوم من المشركين مثلّوا بقوم من المسلمين قتلوهم يوم أحد ؛ فعاقبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثله ، فمعنى {وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ} أي: من جازى الظالم بمثل ما ظلمه.

"فسمي جزاء العقوبة عقوبة ؛ لاستواء الفعلين في الصورة".

{ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ} : "البغي بالكلام والإزعاج من وطنه ؛ وذلك أن المشركين كذبوا نبيهم، وآذوا من آمن به وأخرجوهم من مكة ، وظاهروا على إخراجهم".

{وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ} فالمثلية تقتضي عدم الزيادة ، لكن هنالك مرتبة أعلى من العقوبة بالمثلية ، مرتبة العفو والإحسان وهذا ما ألمح الله إليه في ختم الآية فقال: {إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ}

إذن هناك مراتب :

المرتبة الأولى : الظلم ، وهذه محرمة على الإطلاق ، هنالك مقابلة الظلم بمثله فهذا أجازه الإسلام وأقره

المرتبة الثانية : مرتبة الإحسان ، وهي العفو

{إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ} أي: عفا عن المؤمنين ذنوبهم وقتالهم في الشهر الحرام وستر.

{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} ذلك بأن تقلب الأزمان وتكور الليل على النهار وتكور النهار على الليل كفيل بأن يظهر الحق ، ويتبين فيه الظلم ، وأنه يعود على صاحبه بالخيبة وبالوبال وبالخسران .

الحلقة (١٢)

الآيـــات :

قال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٧٨)} .

تلاحظون أنه ورد في الآية {وَاسْجُدُوا} ولهذا يستحب بعض العلماء وعلى هذا مذهب الشافعية والحنابلة السجود عند هذه الآية.

☑ بعض خصائص هذه السورة:

هذه السورة اختصت بخصائص كثيرة : اجتمع فيها المكي والمدني ، والليل والنهار ، والصيف والشتاء ، والسفر والحضر ، واجتمع فيها أيضا سجدتان السجدة التي في أولها والسجدة التي في آخرها .

مسألة : السجدة ،**الإمام مالك وأبو حنيفة لم يروا بأنها من العزائم**؛ يرون أن قوله تعالى: {وَاسْجُدُوا} مقترن بالركوع ، فهي أمر بالصلاة جملة

هنا استهل الله عز وجل هذه الأوامر بالركوع والسجود ، واتبعها بالعبادة {وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ} أي امتثلوا أمره ، وكأن هذا من نوع العام بعد الخاص.

{وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} أيضا هذا من عبادة الله ، وكأنه يكون من الخاص بعد العام

{وَافْعَلُوا الْخَيْرَ} وهذا فيما يتعلق بالمندوبات ، كل أمر مستحب حثنا الله عز وجل على فعله .

❖ الآية التالية :

جاءت الآية الأخرى لتتمم هذه التوجيهات التي وجه الله تعالى بها المؤمنين وقال: {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ}، أي اركعوا واسجدوا وجاهدوا في الله حق جهاده .

✓ المسـائل :

المسألة الأولى : الجهاد أيضا تختلف اطلاقاته فقد يراد به المقاتلة ، وقد يراد به عامة الجهاد من مجاهدة النفس ومن الاجتهاد في الطاعة ونحو ذلك .

المقصود بالجهاد في هذه الآية :

⇦ قيل : جهاد الكفار .

⇦ وقيل : هو إشارة إلى امتثال جميع ما أمر الله به والانتهاء عن كل ما نهى الله عنه

يقول ابن عطية رحمه الله : "هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ}".

وقوله في الآية الأخرى {حَقَّ تُقَاتِهِ} قال : منسوخ بالتخفيف إلى الاستطاعة في هذا الأمر.

قال الإمام القرطبي : "ولا حاجة إلى تقدير النسخ ؛ فإن هذا هو المراد من أول الحكم ؛ لأن حق جهاده ما ارتفع عنه الحرج".

وقد روى سعيد بن المسيب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (خير دينكم أيسره).

وقال أبو جعفر النحاس : "هذا مما لا يجوز أن يقع فيه نسخ ؛ لأنه واجب على الإنسان".

والصحيح ؛ أنه لا حاجة إلى تقدير مثل هذا

{هُوَ اجْتَبَاكُمْ} أي اختاركم للذب عن دينه والتزام أمره

المسألة الثانية :

{مِنْ حَرَجٍ} أي من ضيق

يروي معمر عن قتادة قال : " أعطيت هذه الأمة ثلاثا لم يعطها إلا نبي، كان يقال للنبي اذهب فلا حرج عليك ، وقيل لهذه الأمة وما جعل عليكم في الدين من حرج ، والنبي شهيد على أمته ، وقيل لهذه الأمة لتكونوا شهداء على الناس ، ويقال للنبي سل تعطى ، ويقال لهذه الأمة ادعوني استجب لكم".

المسألة الثالثة : الحرج الذي رفعه الله عز وجل في هذه الآية أطلق كثير من العلماء أنواع منه ، وهذا ما نسميه اختلاف التنوع عند أهل التفسير ، **فيقول عكرمة** مثلا : "هو ما احل الله من النساء مثنى وثلاث ورباع ، وما ملكت إيمانكم".

ويقول آخر هو قصر الصلاة ، ويقول آخر هو رفع الحرج عن الأعمى والأعرج والمريض ، ويقول آخر هو حط الإصر الذي كان على بني إسرائيل .

الحقيقة أن **رفع الحرج عام وشامل**

{هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} أي باجتهادكم من غير حرج يلحقكم .

المسألة الرابعة :

{مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ} ما الذي نصب ملة أبيكم ؟

الأصل أن يكون على الابتداء

يقول الزجاج : "المعنى اتبعوا ملة أبيكم إبراهيم".

ويقول الفراء : "أنه انتصب على تقدير حذف الكاف ، كأنه قال كملة" ، ثم حذفت الكاف فانتصبت ، فصار ملةَ . فهي أصلا مجرورة بالكاف ، فلما حذفت انتقل إلى الدرجة الأخرى وهي النصب.

وقيل : المعنى: وافعلوا الخير فعل أبيكم .

{هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ}.

☑ علام يعود الضمير في {هُوَ سَمَّاكُمُ} ؟

أرجح التفاسير هو ما جاء عن الإمام علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "سماكم الله عز وجل المسلمين من قبل ، أي في الكتب المتقدمة ، وفي هذا القرآن".

ويقول بعض المفسرين هو إبراهيم عليه السلام ، {هُوَ

سَمَّاكُمُ}.

قال مجاهد وغيره : "{لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ} أي بتبليغه إياكم {وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} أن رسلهم قد بلغتهم".

سـورة النـور

الحلقة (١٣)

كان عمر أمير المؤمنين - رضي الله عنه- يقول : "علموا نسائكم سورة النور".

الآيـــات :

قال تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ (١٢)) لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣)}.

✓ **المفردات الغريبة :**

- جاؤوا بالإفك : أي بالكذب .
- لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم :الخطاب وإن كان جمعا لكن المقصود به في الأول أم المؤمنين.
- والذي تولى كبره : الكبر هنا هو عُظمَه .
- بأنفسهم خيرا : أي بأمثالهم من المسلمين .
- {لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ} أي هلَّا.

لولا تأتي في القرآن ، وهي على وجهين :

١) إما أداة امتناع .

٢) وإما أداة تحضيض.

فمتى وجدنا الفعل بعدها، فإنها تكون أداة تحضيض في مثل هذا {لَوْلَا جَاءُوا} أي: هلا جاؤوا

ومتى جاء بعدها غير الفعل فإنها تكون حينئذ أداة امتناع، مثل قوله تعالى: {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ}

☑ **وأهل الأداء يميزون أداة التحضيض عن أداة الامتناع بالصوت ، كيف ذاك ؟**

إذا جاءت مثل هذه {لَوْلَا جَاءُوا} أي: هلا جاؤوا، يرفعون الصوت عند "لو"، ويكون الصوت عند "لا" معتادا

بينما في {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ} يكون العكس يرتفع الصوت عند "لا"، ويكون معتادا عند "لو".

- **ومن الوسائل لمعرفة المعاني معرفة الإعراب**
- **والأداء يساعد غيرك على الفهم**
- **الوقف والابتداء**

- **عصبة** : خبر إن ، ويجوز نصبها على الحال .
- **المسائـــل :**

المسألة الأولى :

سبب نزول القصة : ما رواه الأئمة من حديث الإفك الطويل من قصة عائشة -رضوان الله عليها-.

✓ **المسألة الثانية :**

✓ **ما هي العصبة ؟**

✓ قيل : هم ثلاثة رجال، وقيل: ثلاثة إلى عشرة، وقيل: أربعون، وقيل: من عشرة إلى خمسة عشر

✓ **والأصل أنها هي مجموعة من الرجال، أو مجموعة من الناس، أو جماعة العرب الذين يتعصبون بعضهم لبعض لأمر معين،**

{بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ} : يقول القرطبي الخير حقيقته ما زاد نفعه على ضَره أو ضُره، والشر ما زاد ضَره على نفعه، و إن خيرا لا شر فيه هو الجنة، وشرا لا خير فيه هو جهنم . بمعنى أن أكثره خير

المسألة الثالثة :

{لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ} أي ممن تكلم بالإفك ، **ولم يسمَّ من أهل الإفك إلا: حسان، ومسطح، وحمنة، وعبد الله بن أبي بن سلول، وجُهل الغير**

{لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ} هم عائشة وصفوان ، وعائلة أبي بكر الصديق

المسألة الرابعة :

{لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا} هذا عتاب من الله سبحانه وتعالى للمؤمنين في ظنهم حين قال أصحاب الإفك ما قالوا .

قال ابن زيد : "ظن المؤمنون أن المؤمن لا يفجر بأمه".

وهنا {لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ} أداة تحضيض بمعنى "هلا".

المسألة الخامسة :

{بِأَنْفُسِهِمْ} يقول النحاس : معنى بأنفسهم أي بإخوانهم . فأوجب الله على المسلمين إذا سمعوا رجلا يقذف أحدًا أو يذكره بقبيح لا يعرفونه به أن ينكروا عليه ويكذبوه وتواعد من ترك ذلك ومن نقله .

المسألة السادسة :

{لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ} نلاحظ أنه مرة يلتفت إلى المؤمنين ومرة يلتفت للمنافقين أو من تأثر بهم.

يقول القرطبي : "هذا توبيخ لأهل الإفك، و "لولا" هنا بمعنى هلّا

المسألة السابعة :

{فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ}

أي هم في حكم الله كاذبون

وأجمع العلماء أن أحكام الدنيا على الظاهر ، وأن السرائر إلى الله عز وجل.

الحلقة (١٤)

الآيـــــــات :

يقول الله تعالى : {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦)}.

المفردات الغريبة :

- {فِي مَا أَفَضْتُمْ} أي خضتم فيه .
- {إِذْ تَلَقَّوْنَهُ} أي تقبلونه .

يقول الإمام ابن قتيبة : ومن قرأ {تَلِقُونَه} أخذه من الوَلَق وهو الكذب، ولذلك كانت عائشة أم المؤمنين تقرأ {إذ تَلِقُونَه} أي تكذبون به، أي تقولون قولا كذبا ، وهذه القراءة قراءة شاذة .

الأصل أن ما نجده من القراءات الشاذة كان قبل العرضة الأخيرة،

المســـــائـــل :

المسألة الأولى :

{وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ} هذا في سياق حادثة الإفك، إذ يعاتب الله تعالى المؤمنين، ويبين ما كان ينبغي أن يكونوا عليه، وأن يستقبلوا مثل هذه الأحداث

وهذا من لطف الله تعالى بالمؤمنين ومن رحمته بهم، إذ لم يأخذهم أخذة واحدة حينما وقع بعضهم فيما وقع ، فأنزل الله تعالى لأجل أن يتوبوا ويقلعوا عن ما يكون من مثل هذه المواقف .

{وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ} "فضل" رفع بالابتداء ، والخبر محذوف ، تقديره : موجود،

المسألة الثانية :

{وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ} مبالغة وإلزام وتأكيد".

الضمير في {وَتَحْسَبُونَهُ} عائد على الحديث والخوض فيه والإذاعة له.

المسألة الثالثة :

{وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨)}.

هذا عتاب لجميع المؤمنين

والبهتان أن يقال في الإنسان ما ليس فيه ، والغيبة أن يقال في الإنسان ما فيه .

الحلقة (١٥)

الآيـــــــات :

قال تعالى : {يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

(١٨) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (٢٠)}.

✓ صلة الآيات بما قبلها :

أن العتاب توالى إثر العتاب فجاء الوعظ صريحا في اللفظ والمعنى ، ثم تلاه التهديد

المسـائـل :

المسألة الأولى :

{يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}

أي أن تعودوا لمثل هذه الحالة من إشاعة أو التحدث أو إساءة الظن في المؤمنين .

{يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا} مفعول من أجله ، أي كراهية أن تعودوا .

المسألة الثانية :

{إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} هذا توقيف وتوكيد

{يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا} يقول : "يعني في عائشة".

❖ بعد ذلك جاء التهديد{إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ}.

المسألة الأولى : تشيع : أي تفشو ، يقال : شاع الشيء شيوعا وشَيْعًا وشَيَاعًا ، وشَيْعوعَة : أي ظهر وتفرق

{فِي الَّذِينَ آمَنُوا} أي في المحصنين والمحصنات ، والمراد بهذا في الدرجة الأولى عائشة وصفوان.

☑ والفاحشة تطلق في القرآن على استعمالات عديدة :

⇦ تطلق الفاحشة ويراد بها البخل {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ}.

⇦ بينما في هذه الآية المراد بها الفعل القبيح، المفرط القبح، وهو الزنا والقذف، ومنه اللواط أيضا والسحاق.

المراد بالعذاب الأليم هنا : الذي يكون في الدنيا هو الحد

وأما عذاب الآخرة فإن هذا يكون في النار، وهذا للمنافقين، فهو مخصوص؛ لأن المؤمن يطهر بإقامة الحد.

{لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ} معناه: إن مات مصِرًّا غير تائب".

المسألة الثانية :

{وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}" أي يعلم مقدار عظم هذا الذنب والمجازاة عليه ، ويعلم كل شيء"

يسوق المؤلف هنا حديثا قال : روي من حديث أبي الدرداء أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- قال : (أيما رجل شدَّ عضُد امرئ من الناس في خصومة لا علم له بها ، فهو في سخط الله حتى ينزع عنها ، وأيما رجل قال بشفاعته دون حد من حدود الله أن يقام ، فقد عاند الله حقا وأقدم على سخطه وعليه لعنة الله تتابع إلى يوم القيامة ، وأيما رجل أشاع على رجل مسلم كلمة وهو منها بريء يرى أن يشينه بها في الدنيا ، كان حقا على الله تعالى أن يرميه بها في النار ، ثم تلا مصداقه في كتاب الله تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا}).

{يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا} هذه هي فائدة القرآن أن ينتفع من مثل هذه المواعظ ومن مثل هذه العبر .

الحلقة (١٦)

الآيـــــــات :

قال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢١) وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢)}.

✓ المفردات الغريبة :

- {مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ} أي : ما طَهُر .
- {اللَّهَ يُزَكِّي} أي : يُطهّر .

■ {وَلَا يَأْتَلِ} أي : لا يحلف ، وهو يفتعل من الألِيَّة ، وهي اليمين ، وقُرِأت أيضا {ولا يتألَّ} على يتفعل.

⇦ {أَنْ يُؤْتُوا} : أراد "ألا يؤتوا" فحذف لا، يعني حلفوا ان لا يعطوا ولا ينفقوا وكان ابو بكر حلف الا ينفق على مسطح وقرابته الذين ذكروا عائشة .

✓ المســـائـــل :

المسألة الأولى :

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ} أي: مسالكه ومذاهبه.

فالخطوات: جمع خُطوة ، وهو ما بين القدمين .

✓ القراءات :

❖ {خُطوات} :

⇦ الجمهور قراءتهم {خُطُوات} بضم الطاء . حفص وقنبل وابن عامر والكسائي

⇦ والفريق الآخر يقرأ بالإسكان ، وهما قراءتان متواترتان .

❖ {ما زكا} :

⇦ قوله رحمه الله : (وقرأ الجمهور ما زكَّى بتخفيف الكاف) هذا صحيح .

⇦ وقراءة التشديد هي قراءة شاذة، أي {ما زكَّى} وهي قراءة الحسن ، وأبي حيوة من التابعين.

وهذه الآية تعلقها بالسياق، منه ما هو بالسباق ومنه ما هو باللحاق ، أما السباق فيما يتعلق بالقصة السابقة ، وأما اللحاق فهي توطئة للتحذير من مكر الشيطان وكيده في صده عن الإنفاق في سبيل الله عز وجل، كما في قصة أبي بكر الصديق مع مسطح

الآية التالية : يقول الله تعالى :{وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ}.

✓ سبب نزول الآية :

المشهور من الروايات أن هذه الآية نزلت في قصة أبي بكر بن أبي قحافه ومسطح بن أُثاثة ، وذلك أنه كان ابن بنت خالته ، وكان من المهاجرين البدريين المساكين ، وكان أبو بكر ينفق عليه لمسكنته وقرابته ، فلما وقع أمر الإفك وقال فيه مسطح ما قال ، حلف أبو بكر ألا ينفق عليه ولا ينفعه بنافعة أبدا ، فجاء مسطح فأعتذر وقال :إنما كنت أغشى مجالس حسان فأسمع ولا أقول ، فقال له أبو بكر: لقد ضحكت وشاركت فيما قيل ، ومر على يمينه ، أي حلف بهذا اليمين ، فنزلت هذه الآية بتوجيه أبي بكر الصديق.

✓ المســـائـــل :

المسألة الأولى :

الآية تتناول الأمة إلى يوم القيامة ، بأن لا يغتاظ ذو فضل وسعة فيحلف ألا ينفع من هذه صفته غابر الدهر .

المسألة الثانية :

أن القذف وإن كان كبيرا لا يحبط الأعمال ؛ لأن الله تعالى وصف مسطحا بعد قوله بالهجرة والإيمان"

المسألة الثالثة :

{وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ} قال بعض العلماء: هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى من حيث لطف الله بالقذفة العصاة بهذا اللفظ

وقيل :أرجى آية{وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا}

ومن آيات الرجاء قوله تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ}

و قوله: {اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ}

الحلقة (١٧)

الآيـــــات :

قال تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (٢٥) الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ

مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٢٦)}.

❖ الآية الأولى : الثالثة والعشرون.

✓ المســـائـل :

المسألة الأولى :

{الْمُحْصَنَاتِ} أجمع العلماء على أن حكم المحصنين في القذف كحكم المحصنات قياسا واستدلالا،

وسمي المحصنات؛ لأن هذا أكثر ما يقع، القذف يقع على النسا وخاصة أن المقصود بالقذف في أول الأمر هي عائشة وأكثر ما يؤذي أو ينال من المرأة هو أن تُقذف

اختلِف فيمن المراد بهذه الآية :

⇦ القول الأول : هم رماة عائشة خاصة ويروى عن سعيد بن جبير .

⇦ القول الثاني : أن هذا عام لجميع الناس القذفة واختاره الإمام النحاس. والمعنى الأنفس المحصنات

⇦ القول الثالث : أنها نزلت في مشركي مكة؛ لأنهم يقولون للمرأة إذا هاجرت إنما خرجت لتفجر.

المسألة الثانية : {لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ} .

⇦ إن كان المراد بهذه الآية المؤمنين من القذفة، فالمراد باللعنة الإبعاد وضرب الحد واستيحاش المؤمنين منهم وهجرهم لهم ، وزوالهم عن رتبة العدالة ، والبعد عن الثناء الحسن على ألسنة المؤمنين.

⇦ وعلى قول من قال هي خاصة لعائشة ، تترتب على هذه الشدائد في جانب عبد الله بن أبيّ وأشباهه.

⇦ وعلى قول من قال نزلت في مشركي مكة ، فلا كلام أنهم مبعدون ولهم في الآخرة عذاب عظيم إلا إن أسلموا.

❖ قوله عز وجل :{يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤)}.

✓ القراءات في {تَشْهَدُ} :

⇦ قراءة الجمهور {تَشْهَدُ}.

⇦ وقراءة حمزة والكسائي {يشهد} وكلاهما قراءتان سبعيتان ، وهي أيضا قراءة خلف من العشرة .

➢ وهنا أبو عبيد يختار قراءة {يشهد} لماذا ؟

قال : لأن الجار والمجرور قد حال بين الاسم والفعل.

والمعنى : "يوم تشهد ألسنة بعضهم على بعض بما كانوا يعملون من القذف والبهتان"

"وقيل: تشهد عليهم ألسنتهم ذلك اليوم بما تكلموا به".

{وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ} أي وتتكلم الجوارح بما عملوا في الدنيا.

❖ الآية الخامسة والعشرون ، يقول الله عز وجل :

{يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (٢٥)}.

⇦ أي: يوفيهم حسابهم وجزاءهم.

✓ القراءات في {الحقّ} :

⇦ قراءة مجاهد برفع الحق {الحقُّ} على أنه نعت لله عز وجل ، {الْحَقُّ} وهي قراءة شاذة .

⇦ وقراءة الجمهور أحسن {يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ}. ويكون الحق نعتا للدين

{وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ} هذان {الْحَقُّ الْمُبِينُ} اسمان من أسمائه سبحانه وتعالى.

❖ الآية السادسة والعشرون يقول الله عز وجل :

{الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ}.

■ من المقصود بالخبيثين والخبيثات والطيبات و الطيبين ؟ فيها عدة أقوال:

⇦ القول الأول : يقول ابن الزيد : المعنى : الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال وهكذا.

⇦ القول الثاني : للإمام مجاهد وعطاء وأكثر المفسرين، يقول: الكلمات الخبيثات من القول للخبيثين من الناس وهكذا قال النحاس في كتاب معاني القرآن : "وهذا من أحسن ما قيل في هذه الآية".

"ودل على صحة هذا القول: {أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ} أي عائشة وصفوان، مما يقول الخبيثون والخبيثات".

⇦ القول الثالث : أن هذه الآية مبنية على قوله: {الزَّانِي

لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً} فالخبيثات الزواني، والطيبات العفائف، وكذا الطيبون والطيبات، واختار هذا القول أيضا النحاس.

الحلقة (١٨)

قال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨)}.

✓ المسـائـل :

المسألة الأولى :

لما خصص الله سبحانه ابن آدم الذي كرمه وفضله بالمنازل، وسترهم فيها عن الأبصار، وملّكهم الاستمتاع بها على الانفراد، وحجر على الخلق أن يطلعوا عليها من خارج، أو يلِجوا فيها من غير إذن أهلها ، أدبهم بما يرجع إلى الستر؛ لئلا يطّلع أحد منهم على عورة .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: (مَنْ اطَّلَعَ فِي بَيْتِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ فَقَدْ حَلَّ لَهُمْ أَنْ يَفْقَئُوا عَيْنَهُ).

وهذا الأمر فيه تفصيل لدى العلماء:

⇦ القول الأول : أنه ليس على ظاهره، ولا يجوز أن يفقأ العين.

⇦ القول الثاني : أنه على ظاهره، وأنه يجوز أن تفقأ العين على من اعتدى وملأ عينه بجوف البيت.

المسألة الثانية : سبب نزول الآية :

ما رواه الطبري وغيره عن عدي بن ثابت أن امرأة من الأنصار قالت: "يا رسول الله إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليه أحد لا والد ولا ولد ، فيأتي الأب فيدخل علي ، وإنه لا يزال يدخل علي رجل من أهلي وأنا على تلك الحال ، فكيف أصنع؟" ، فنزلت الآية.

قال أبو بكر : يا رسول الله، أفرأيت الخانات والمساكن في طرق الشام ليس فيها ساكن؟! فأنزل الله {لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ}.

المسألة الثالثة :

{حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا} ، والاستئناس المقصود به الاستئذان، وإنما التعبير بالاستئناس فيه إشارة أنه لابد أن يكون هناك أنس مشترك بين صاحب البيت ومن يريد الدخول في هذا البيت

وقيل: الاستعلام.

وفي سنن ابن ماجه حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبد الرحيم بن سليمان عن واصل بن السائب عن أبي ثور عن أبي أيوب الأنصاري قال: قلنا: يا رسول الله ما الاستئناس؟ قال: (يتكلم الرجل بتسبيحة، وتكبيرة، وتحميدة، ويتنحنح، ويؤذن أهل البيت). قلت: وهذا نص أن الاستئذان غير الاستئناس، كما قال مجاهد ومن وافقه.

المسألة الرابعة :

تورد بعض الكتب رواية عن سعيد ابن جبير أنه قال حتى تستأنسوا، خطأ أو وهم من الكاتب، إنما هي حتى تستأذنوا !

وهو غير صحيح ولا يثبت عن سعيد ابن جبير

المسألة الخامسة : ما مقدار الاستئذان؟ هل هو لمرة أو أكثر؟

الاستئذان كما في بعض الآثار ثلاثا، وصورته أن يقول: السلام عليكم، أأدخل؟

فإن طُلب منه تحديد شخصيته فإنه يبين باسمه أو لقبه أو بأي صفة يُعرف بها وتميزه عن غيره.

المسألة السادسة :

صفة الدق : أن يكون دقا خفيفا، وقد قيل إن أبواب رسول الله كانت تطرق بالأظافر

روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كانت أبواب النبي صلى الله عليه وسلم تقرع بالأظافير).

❖ ننتقل إلى الآية التالية وهي قوله تعالى :{فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَداً فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} .

✓ صلة الآية بما قبلها :

فهذه الآية لا يزال الحديث فيها عن البيوت المسكونة، فلما تحدث عن البيوت المسكونة أنه يطلب من أصحابها الاستئذان، وأن هذا مطلب لأجل الدخول في البيت ، فإن لم يؤذن أو لم يوجد فيها أحد، أي لا يُرد أحد، فللمستأذن أحد حالتين : أما أن يؤذن له فيدخل ، وإما أن لا يؤذن له ، إما بلسان الحال أو بلسان المقال .

أما لسان الحال فهو أن يُسكت عنه، فهذا يصدق عليه قوله تعالى: {فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَداً فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ} أي إن لم يرد عليكم أحدا فلا يجوز أن تدخلوها؛ لأنه قد يكون هو داخل البيت لكنه لا يريد أن يفتح لك أصلا. {وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ}. والمقالة هنا تكون بلسان الحال وتكون بلسان المقال أيضا، فلا ينبغي على شخص أن يلح في طلب الإذن بأكثر من ثلاث مرات.

المسألة الأولى : {فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَداً} الضمير في "تجدوا فيها": للبيوت .

المسألة الثانية : {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} وهذا فيه وعيد شديد لمن تهاون في آداب الاستئذان أو قصر فيها

هذه الآية عند الإمام القرطبي تتوعد ثلاثة أصناف،

➢ الصنف الأول: أهل التجسس على البيوت، وطلب الدخول على غفلة للمعاصي.

➢ الأمر الثاني النظر إلى ما لا يحل ولا يجوز.

➢ "ولغيرهم ممن يقع في المحظور"، وهو الوقوع في محظورات الاستئذان.

وأيضا قد يتضمن قوله تعالى: {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} قد يكون فيه ترغيب لمن أخذ بأدب القرآن وأخذ بالاستئذان ورجع حينما قيل له ارجع، أو حين لم يجد أحدا فإنه يرجع

الحلقة (١٩)

الآيـــــات :

قال تعالى : {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (٢٩) قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١)}.

✓ *المفردات الغريبة :*

■ {أَوْ نِسَائِهِنَّ} : يعني المسلمات ، ولا ينبغي لمسلمة أن تتجرد بين يدي كافرة.

■ {أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ} : يريد الأتباع الذين ليس لهم إربة في النساء، أي حاجة، مثل: الخصي ، والخنثى، والشيخ الهرم.

■ {أَوِ الطِّفْلِ} يريد الأطفال ، يدل على ذلك قوله تعالى: {الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ} أي لم يعرفوها.

■ {وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ} أي لا يضربن بإحدى الرجلين على الأخرى ليصيب الخلخالُ الخلخالَ فيُعلَم أن عليها خلخالين ، هذا كله في الزينة .

❖ قوله تعالى : {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا

تَكْتُمُونَ (٢٩)}.

✓ المســائــل :

المسألة الأولى : روي أن بعض الناس لما نزلت آية الاستئذان تعمق في الأمر ، فكان لا يأتي موضعا خربا ولا مسكونا إلا سلم واستأذن ؛ فنزلت هذه الآية.

☑ *يعني أن هذا في الأماكن العامة .*

المسألة الثانية : اختلف العلماء في المراد بهذه البيوت

فقال محمد بن الحنفية ، وقتادة ، ومجاهد : "هي الفنادق التي في طرق السابلة"

قال مجاهد : "لا يسكنها أحد بل هي موقوفة ليأوي إليها كل ابن سبيل ، وفيها متاع لهم.

وقال جابر بن زيد : "ليس يعني بالمتاع الجهاز ، ولكن ما سواه من الحاجة ؛ إما منزل ينزله قوم من ليل أو نهار ، أو خربة يدخلها لقضاء حاجة ، أو دار ينظر إليها ، فهذا متاع ، وكل منافع الدنيا متاع" .

إذن الاستئذان خاص بالبيوت المسكونة المملوكة لأناس معينين.

❖ قوله تعالى : {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ} قال قتادة : "عما لا يحل لهم" ؛ {وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ} خائنة الأعين من النظر إلى ما نهي عنه .

✓ المســائــل :

المسألة الأولى : {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ} أي عما لا يحل ، أما ما هو مباح ، وما فيه النظر للعبرة ، وما فيه النظر للعلم ، وما فيه النظر للفائدة ، فهذا أمر مطلوب ، لا حرج فيه ، بل هو مندوب إليه

المسألة الثانية :

{مِنْ أَبْصَارِهِمْ} "من" هنا زائدة وقيل : "من" للتبعيض الغض النقصان ؛ يقال : غض فلان من فلان أي وضع منه. فـ "من" صلة للغض ، وليست للتبعيض ولا للزيادة. من يرى أنها زائدة أو صلة فإنه يرى أن التبعيض حصل من عبارة {يَغُضُّوا}

المسألة الثالثة : البصر هو الباب الأكبر إلى القلب.

المسألة الرابعة :

{وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ} أي يستروها عن أن يراها من لا يحل . وقيل : ويحفظوا فروجهم أي عن الزنا

والفرق بين "يغضوا من أبصارهم" و "يحفظوا فروجهم"؛ لأن الأصل في البصر الحل ، بينما الأصل في الفرج الحرمة ، لهذا اختلف التعبيران .

❖ قوله تعالى {وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ... (٣١)}.

المسألة الأولى : خص الله سبحانه وتعالى الإناث هنا بالخطاب على طريق التأكيد ؛ فإن قوله {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ} يكفي ؛ لأنه قول عام يتناول الذكر والأنثى من المؤمنين ، حسب كل خطاب عام في القرآن .

المسألة الثانية : أمر الله سبحانه وتعالى النساء بألا يبدين زينتهن للناظرين ، إلا ما استثناه من الناظرين في باقي الآية ؛ حذارًا من الافتتان ، ثم استثنى ما يظهر من الزينة.

ما هو الذي يجوز أن يظهر من المرأة من زينتها ؟

قال ابن عطية : "ويظهر لي بحكم ألفاظ الآية أن المرأة مأمورة بألا تبدي وأن تجتهد في الإخفاء لكل ما هو زينة ، ووقع الاستثناء فيما يظهر بحكم ضرورة حركة فيما لا بد منه ، أو إصلاح شأن ونحو ذلك . فـ "ما ظهر" على هذا الوجه مما تؤدي إليه الضرورة في النساء فهو المعفو عنه ".

المسألة الثالثة : من الزينة ظاهر وباطن ؛ فما ظهر فمباح أبدا لكل الناس من المحارم والأجانب ؛ وقد ذكرنا ما للعلماء فيه . وأما ما بطن فلا يحل إبداؤه إلا لمن سماهم الله تعالى في هذه الآية .

المسألة الرابعة : "خُمُر"

الخُمُر : جمع خِمار ، وهو ما تغطي به رأسها ؛ ومنه : اختمرت المرأة وتخمَّرت ، وهي حسنة الخِمْرَة .

{وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ} والجيوب : هي الصدور ، يعني على مواضع جيوبهن .

المسألة الخامسة : المستثنون في قوله تعالى : {إِلَّا

{لِبُعُولَتِهِنَّ} البعل هو الزوج والسيد في كلام العرب .

المسألة السادسة : اختلف الناس في جواز نظر الرجل إلى فرج المرأة والعكس:

⇦ أحدهما : يجوز ؛ لأنه إذا جاز له التلذذ به فالنظر أولى .

⇦ وقيل : لا يجوز ؛ لقول عائشة - رضي الله عنها - في ذكر حالها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما رأيت ذلك منه ولا رأى ذلك مني) .

يقول المؤلف رحمه الله : والأول أصح ، وهذا محمول على الأدب ؛ قاله ابن العربي .

المسألة السابعة : {أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ} يريد ذكور أولاد الأزواج ، ويدخل فيه أولاد الأولاد وإن سفلوا ، من ذكران كانوا أو إناث. وكذلك آباء البعولة والأجداد وإن علوا من جهة الذكران لآباء الآباء وآباء الأمهات .

المسألة الثامنة : {أَوْ نِسَائِهِنَّ} أي المسلمات ، ويدخل في هذا الإماء المؤمنات .

المسألة التاسعة : {أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ} ظاهر الآية يشمل العبيد والإماء المسلمات والكتابيات. وهو قول جماعة من أهل العلم.

قال سعيد بن المسيب : "لا تغرنكم هذه الآية أو ما ملكت أيمانهن ، إنما عني بها الإماء ولم يعن بها العبيد" . وكان الشعبي يكره أن ينظر المملوك إلى شعر مولاته .

وهو قول مجاهد ، وعطاء .

⇦ لكن الكشف للعبيد الرجال ؟

بعض العلماء يرى جوازه وبعضهم يرى منعه ..

المسألة العاشرة : {أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ} من لا فهم له ولا همة ينتبه بها إلى أمر النساء .

المسألة الحادية عشر : {أَوِ الطِّفْلِ} اسم جنس بمعنى الجمع ، والدليل على ذلك نعته بـ {الَّذِينَ}.

وفي مصحف حفصة {أو الأطفال}. {الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا} معناه يطلعوا بالوطء .

وقيل : لم يبلغوا أن يطيقوا النساء ؛ يقال : ظهرت على كذا أي علمته.

المسألة الثانية عشر : {وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ} أي لا تضرب المرأة برجلها إذا مشت لتسمع صوت خلخالها.

قوله تعالى: {وَتُوبُوا} أمر . ولا خلاف بين الأمة في وجوب التوبة ، وأنه فرض متعين .

التوبة في قوله تعالى : {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا} على وجه الوجوب .

الحلقة (٢٠)

الإسلام قد اتخذ في البناء التربوي وسيلتين مهمتين هما :

أ) وسيلة المنع . ب) وسيلة الدفع .

⇦ *أما وسيلة المنع* : فهي أن يحال بين الشخص وبين ما يكون سببًا في إغوائه أو في ضلالته

⇦ *أما وسائل الدفع* : فهي التي تساعد الإنسان على عمل الخير وعلى بذل المعروف وعلى سلوك الهدي والصراط المستقيم

الآيـــــات :

قال تعالى : {وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٣٢) وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٣) وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (٣٤)}.

✓ المســـائل :

المسألة الأولى : "هذه المخاطبة تدخل في باب الستر والصلاح ؛ أي زوجوا من لا زوج له منكم فإنه طريق التعفف".

الخطاب للأولياء {وَأَنْكِحُوا}، وقيل للأزواج . والصحيح الأول ؛ إذ لو أراد الأزواج لقال "وانكحوا" بغير همز

ويستدل المؤلف بهذا على أن المرأة ليس لها أن تُنكِحْ نفسها بغير ولي

المسألة الثانية : الأيامى هم من لا أزواج لهم من الرجال والنساء. وإن كان أكثر استعماله في النساء ، إلا أنه يستعمل للرجال.

المسألة الثالثة : {وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ} هم الحرائر والأحرار.

{وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ} هذا خاص بالعبيد ، سواء كان من الإناث" الإماء" أو من الذكور "العبيد" .

المسألة الرابعة : {إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} وهذا وعد بالغنى للمتزوجين طلب رضاء الله.

والغنى هنا غنى النفس ، لقوله صلى الله عليه وسلم : (ليس الغنى عن كثرة العرض ، إنما الغنى غنى النفس).

وفي الحديث: (ثلاثة كلهم حق على الله عونه : المجاهد في سبيل الله ، والناكح يريد العفاف ، والمكاتب يريد الأداء).

❖ الآيـــة التـــاليـــة :

قوله تعالى: {وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا} أي لا يستطيع أن يجد ما ينكح به من المال أو من القدرة

المسألة الأولى : {وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ} الخطاب لمن يملك أمر نفسه – وهذا خاص بالحر –.

المسألة الثانية : {لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا} أي طول نكاح أو "القدرة على النكاح" ..

❖ قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ}.

في هذه الآية مساعدة وتشجيع على العتق، وسنستوضح هذا من خلال بيان تلك المسائل :

المسألة الأولى : يقول المؤلف : "لما جرى ذكر العبيد والإماء فيما سبق ، وصل به أن العبد إن طلب الكتابة فالمستحب كتابته ؛ فربما يقصد بالكتابة أن يستقل ويكتسب ويتزوج إذا أراد ، فيكون أعف له".

المسألة الثانية : الكتاب والمكاتبة سواء ؛ مفاعلة مما لا تكون إلا بين اثنين ، أي بين العبد وسيده ، لأنها معاقدة بين السيد وعبده ؛.

المسألة الثالثة : {إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا}؟

⇦ المقصود بالخير : المال والأداء

⇦ أن الخير هو الدين والأمانة .

⇦ الاكتساب والأداء .

يقول الإمام الطحاوي : "وقول من قال إنه "المال" لا يصح عندنا ؛ لأن العبد مال لمولاه

قال ابن عبد البر- : وإنما يقال : إن علمتم فيهم الخير والصلاح" .

الأظهر والأوفق هو : إن علمتم فيهم صلاحا.

المسألة الرابعة : تقول عائشة رضي الله عنها : (دخلتْ عليَّ بريرة فقالت : إن أهلي كاتبوني على تسع أواق في تسع سنين كل سنة أوقية ، فأعينيني . . . الحديث) . فهذا دليل على أن للسيد أن يكاتب عبده وهو لا شيء معه

وفي هذا دليل على جواز كتابة الأمة ، وهي غير ذات صنعة ولا حرفة ولا مال .

المسألة الخامسة : سبب نزول قوله تعالى : {وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا} :

روى جابر بن عبد الله ، وابن عباس – رضي الله عنهم – أن هذه الآية نزلت في عبد الله بن أبي ، وكانت له جاريتان إحداهما تسمى معاذة ، والأخرى مسيكة ، وكان يكرههما على الزنا ويضربهما عليه ابتغاء الأجر وكسب الولد ؛ فشكتا ذلك إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فنزلت الآية فيه وفيمن فعل فعله من المنافقين .

المقصود بالفتيات هنا : الإماء ، والبغاء : هو الزنا .

والقول هنا {إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا} راجع للفتاة.

قوله تعالى {لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} لأجل طلب عرض الحياة الدنيا

{وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ} أي من بعد إكراههن : أي "لهن غفور رحيم"

ولهذا جاء في قراءة ابن مسعود : (لهنَّ غفور) يعني

للمكرَهات ، وليس للمُكْرِه .

الحلقة (٢١)

وهي الآية التي سميت السورة باسمها {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} .

الآيـــــات :

قال تعالى : {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٥)}.

✓ تفسير الآية المرجع ابن كثير

يقول علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يقول: "هادي أهل السموات والأرض".

يذكر ابن جريج عن ابن عباس وعن مجاهد : {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} "أي يدبر الأمر فيهما، نجومهما وشمسهما وقمرهما".

وعن أنس ابن مالك قال: "إن إلهي يقول (نوري هداي)".

واختار هذا القول ابن جرير الطبري .

عن الضحاك : "الله نوَّر السماوات والأرض". نور السماء بالملائكة ونور الأرض بالأنبياء.

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يقول: (اللَّهُمَّ لك الحمد، أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن) الحديث.

■ **إذن يتلخص من هذا أنه على قراءة {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} أن هناك قولين:**

⇦ الهادي أو المدبر الأمر فيهما ونجومهما وشمسهما وقمرهما.

⇦ وأما المختار فهو قول {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ} أي هادي أهل السموات ، أو نوري هداي ، كلاهما بمعنى واحد.

➢ وأما على القراءة الأخرى {**اللَّهُ نوَّر السموات**} فهذا فعل.

■ **{مَثَلُ نُورِهِ} أيضا في هذا الضمير قولان : هل هو نور الله عز وجل أو نور آخر ؟**

⇦ **القول الأول : عن ابن عباس**: أنه عائد إلى الله عز وجل، أي: مثل هداه في قلب المؤمن ، وهذا قد يكون أقرب .

⇦ **القول الثاني** : يقول إن الضمير عائد إلى المؤمن الذي دل عليه سياق الكلام ؛ لأنه قد يعاد الضمير على شيء لم يسبق له كلام لكن السياق يدل عليه.

{كَمِشْكَاةٍ} قال ابن عباس ومجاهد ومحمد بن كعب وغير واحد : هو موضع الفتيلة من القنديل هذا هو المشهور، ولهذا قال بعده: {فِيهَا مِصْبَاحٌ} وهو الذُبالة التي تضيء.

وهنا يبين وجه المثل **أبي بن كعب** الصحابي الجليل رضي الله عنه يقول: "المصباح هو النور ، وهو القرآن والإيمان الذي في صدره ".

{كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ} هو القرآن والإيمان الذي في صدره.

{الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ} أي هذا الضوء مشرق في زجاجة صافية .

قال أبي بن كعب وغير واحد : "وهي نظير قلب المؤمن".

{الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ}.

✓ القراءات في {دُرِّيٌّ} :

اختلفت القراءة في {دري} :

⇦ فقرأه بعضهم بضم الدال من غير همز {دُرِّيٌّ} من الدر، أي كأنها كوكب من درة .

⇦ وفي القراءات الأخرى "دِريء" و "دُريء" مع الهمز، وهو الدفع .

أي أن هذا الكوكب يدفع ، يسير، يقول: "وذلك أن النجم إذا رمي به يكون أشد استنارة من سائر الأحوال

وقال أبي بن كعب : "كوكب مضيء". **وفسره قتادة** بأنه :

"مضيء مبين ضخم".

{يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ} أي من زيت الشجرة المعروفة بالزيتون

{زَيْتُونَةٍ} بدل ، أو عطف بيان .

{لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ} أي أنها ليست في شرقي بقعتها فلا تصل إليها الشمس من أول النهار، ولا في غربيها فيتقلص عنها الفيء قبل الغروب . **عن عكرمة وعن ابن عباس وعن مجاهد**

القول الآخر يرى أن {زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ} أنها وسط الشجر، لا تصيبها الشمس شرقا ولا غرباً ، وهذا قول آخر يرى أن هذه الزيتونة مكتنفة بين الشجر ومحمية من الآفات ، فهذا هو **قول سعيد بن جبير** .

قول آخر يرى أنها {لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ} هي القِبْلِيَّة ، التي تكون في القبلة .

وزيد بن اسلم يقول : {لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ} هي التي تكون في الشام .

⇦ وما اختاره ابن كثير رحمه الله هو القول الأول ، وهو أنها في مستوى من الأرض في مكان فسيح بارز ظاهر ضاح للشمس ، ولهذا قال : {يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ} يعني لضوء إشراق الزيت.

{نُورٌ عَلَى نُورٍ} يعني بذلك إيمان العبد وعمله.

يقول السدي رحمه الله : "نور النار، ونور الزيت، حين اجتمعا أضاءا، ولا يضيء واحد بغير صاحبه".

: "كذلك نور القرآن ونور الإيمان حين اجتمعا، فلا يكون واحد منهما إلا بصاحبه".

{يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ} أي يرشد الله إلى هدايته من يختاره.

{وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}.

الحلقة (٢٢)

الآيـــــات :

قال تعالى : {فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٨)}

✓ صلة الآيات بما قبلها :

أن مصدر هذا النور في هذه المواقع، وتلك القلوب تكون معلقة بهذه المساجد، ونور الله عز وجل يكون منبثقا ويكون مضيئا في هذه البيوت العظيمة

{أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ} المقصود بالرفع: هو تطهيرها من الدنس ومن اللغو و من الأفعال والأقوال التي لا تليق فيها. فالمقصود إذا هو الرفع المعنوي. **تفسير علي بن أبي طلحه عن بن عباس**

{فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ} قال: "نهى الله سبحانه عن اللغو فيها"..

قال قتادة : "هي هذه المساجد أمر الله تعالى ببنائها ورفعها ، وأمر بعمارتها وتطهيرها".

وقد ذُكر لنا أن **كعباً كان يقول** : "إن في التوراة مكتوبا: ألا إن بيوتي في الأرض المساجد، وأن من توضأ فأحسن وضوءه ثم زارني في بيتي أكرمته، وحق على المزور كرامة الزائر".

{وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ} أي اسم الله عز وجل.

قال ابن عباس: {وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ}يعني يتلى فيها كتابه .

{يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ} "الغدو أي البكرات و العشيات، والآصال جمع أصيل وهو آخر النهار".

عن علي بن أبي طلحه **عن ابن عباس** : "يعني بالغدو صلاة الغداة -صلاة الفجر- ، ويعني بالآصال صلاة العصر، وهما أول ما افترض الله من الصلاة فأحب أن يذكرهما وأن يُذكر بهما عباده".

قال الحسن والضحاك : "{يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ} يعني الصلاة" .

والحقيقة كلها أقوال متقاربة

قال : ومن قرأ "يُسَبَّحُ" بفتح الباء، وهذه قراءة شعبة وابن عامر لما وقف على قوله {وَالْآصَالِ}

هنا التعبير بكلمة "رجال" فيه إشعار بالهمم السامية التي يتمتع بها الرجال

{رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ} أي لا تشغلهم الدنيا وزخرفها وزينتها وملاذ بيعها وربحها عن ذكر ربهم الذي هو خالقهم ورازقهم،

{لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ} أي يقدمون طاعته ومراده ومحبته على مرادهم ومحبتهم .

■ **فيمن نزل قوله تعالى : {رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ} ؟**

روى عمر بن دينار يروي حديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أنه كان في السوق فأقيمت الصلاة، فأغلقوا حوانيتهم ودخلوا المساجد، فقال بن عمر فيهم نزلت {رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ}.

المقصود بإقام الصلاة ؟؟

عن سعيد بن الحسن الضحاك قال : "لا تلهيهم التجارة والبيع أن يأتوا الصلاة في وقتها".

ويقول علي بن أبي طلحه : {لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ} يقول: "عن الصلاة المكتوبة"..

ويرى السدي أن المقصود بإقام الصلاة : "الصلاة في جماعة".

ويجمع مقاتل بن حيان هذه الأقوال في عبارة محكمة يقول : "لا يلهيهم ذلك عن حضور الصلاة ، وأن يقيموها كما أمرهم الله، وأن يحافظوا على مواقيتها وما استحفظهم الله فيها".

{يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ} أي يوم القيامة الذي تتقلب فيه القلوب والأبصار من شدة الفزع وعظمة الأهوال،

{لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا} أي هؤلاء من الذين يتقبل الله منهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم.

يقول : {وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ} أي يتقبل منهم الحسن ويضاعفه لهم ،

وما رواه الطبراني عن بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: {لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ} [الآية (٣٠) سورة فاطر قال : ({أُجُورَهُمْ} يدخلهم الجنة ، {وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ} الشفاعة لمن وجبت له الشفاعة، لمن صنع لهم المعروف في الدنيا).

بعض الأحاديث التي تدل على فضل عمارة المساجد :

عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة) أخرجه في الصحيحين.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عمر بن الخطاب: (من بنى مسجداً يذكر فيه اسم الله بنى الله له بيتاً في الجنة).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد في الدور وأن تنظف وتطيب).

وعن أنس رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد).

وروى من حديث مسلم أن رجل أنشد في المسجد فقال: من دعا إلى الجمل الأحمر؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (لا وجدت ، إنما بنيت المساجد لما بنيت) يعني لإحياء ذكر الله عز وجل .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا لا أربح الله تجارتك، وإذا رأيتم من ينشد ضالة في المسجد فقولوا لا رد الله عليك).

الحلقة (٢٣)

الآيـــات :

قال تعالى : {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ

عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩) أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ (٤٠) أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٤١) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٤٢)}.

في الآيتين الأوليين نجد أن الله تعالى ضرب مثلين لنوعين من الكفار ، في المثلين المائيين {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ } {أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ}.

المفردات الغريبة :

- **السراب** : ما رأيته من الشمس كالماء نصف النهار .
- {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ} فالقيعة القاع .

القيعة جمع القاع ، قالوا: والقاع واحد مذكر ، والثلاثة أقواع ، والكثيرة منها قيعان و قيعة ، وهي الأرض المنبسطة.

- **المثل الثاني .**

المثل الثاني لذوي الجهل المركب : وهم المقلدون للفئة الأولى ، الفئة الأولى هم صناديد الكفر والعتاة والمتعصبون للكفر والدعاة إليه ، فهؤلاء مثلهم {كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً}.

وأما أمثال أتباعهم فهم {كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ} .

{أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ}. **قال قتادة** : هو العميق .

{لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا} لم يقارب رؤيتها من شدة الظلام .

يقول العوفي ، عن بن عباس : {يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ} الغشاوة التي على القلب والسمع والبصر.

{ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ} هو يتقلب في خمسة من الظلم : كلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره يوم القيامة إلى الظلمات إلى النار.

{وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ} أي من لم يهده الله فهو هالك، جاهل حائر

الآية الحادية والأربعون :

{أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ} وهذا فيه إلهاب لحماس المؤمنين ، أن يكونوا على هذه الشاكلة في خشوعهم وخضوعهم لله عز وجل وهو تسبيح حقيقي الله يعلم كفيته كما هو قول الجمهور.

{وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ} "قد صفت أجنحتها في الطيران".

{كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ} أي كل قد أرشده إلى طريقته ومسلكه في عبادة الله عز وجل.

{وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ}. ثم أخبر أنه عالم بجميع ذلك.

ثم أخبر تعالى أنه له ملك السماوات والأرض ، فهو الحاكم المتصرف الذي لا معقب لحكمه ، وهو الإله المعبود {وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ} أي يوم القيامة ، فيحكم فيه بما يشاء

الحلقة (٢٤)

الآيـــــات :

قال تعالى : {أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ (٤٣) يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُوْلِي الأَبْصَارِ (٤٤) وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤٥) لَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤٦)}.

هذه الآيات تتكلم عن قدرة الله الباهرة الدالة على وحدانيته

{أَلَمْ تَرَى} هي تشمل: الرؤية العلمية، والرؤية البصرية أيضاً، ولاشك أن المقصود الأولى أيضاً هي الرؤية العلمية

{أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَاباً} يسوق السحاب أول ما يُنْشِئُها وهي ضعيفة وهو الإزجاء".

{ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ} أي يجمعه بعد تفرقه.

{ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً} أي متراكما، أي يركب بعضه بعضا.

{فَتَرَى الْوَدْقَ} أي المطر.

{يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ} أي من خلله. وهكذا قرأها ابن عباس والضحاك. أي من ثناياه

{وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ} "من" الأولى {وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ} لابتداء الغاية ، والثانية للتبعيض ، والثالثة لبيان الجنس .

وهذا إنما يجيء على قول من ذهب من المفسرين إلى أن قوله {مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ} معناه أن في السماء جبال برد ينزل الله منها البرد".

" وأما من جعل الجبال هنا عبارة عن السحاب ، فإن (مِنْ) الثانية عند هذا لابتداء الغاية ، لكنها بدل من الأولى.

{فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ} . هل هو على وجه النعمة أم على وجه النقمة ؟؟

أي بما ينزل من السماء من نوعي البرد والمطر، فتكون الإصابة على وجه الرحمة ، والصرف على وجه العقوبة .

" ويحتمل أن يكون المراد بقوله {فَيُصِيبُ بِهِ} أي بالبرد نقمة على من يشاء و يصرفه عن من يشاء رحمة بهم" .

وهذا يختلف على حسب اختلاف نوع المطر.

{يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ} أي يكاد ضوء برقه ، وهو الضوء السريع القوي الذي يأتي بسرعة .

{يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ} أي يتصرف فيهما ، فيأخذ من طول هذا في قصر هذا حتى يعتدلا وهكذا .

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُوْلِي الأَبْصَارِ} أي لدليلًا على عظمته .

{وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ}.

"يذكر تعالى قدرته التامة وسلطانه العظيم في خلقه أنواع المخلوقات على اختلاف أشكالها وألوانها وحركاتها وسكناتها من ماء واحد" .

{وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ} مع أن المصدر واحد والأصل واحد، لكنهم يختلفون في أشكالهم وألوانهم وحركاتهم

مثال ما {يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ} الحية وما شاكلها ، وما {يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ} الإنسان والطير ، ومن {يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ} الأنعام وسائر الحيوانات ، ولهذا قال الله تعالى : {يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} أي بقدرته : {إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} .

❖ الآية السادسة والأربعون:

{لَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ} "يقرر تعالى أنه أنزل في هذا القرآن من الحكم والأمثال البينة المحكمة كثيراً جدا ، وأنه يرشد إلى تفهمها وتعقلها أولي الألباب والبصائر والنهى ، ولهذا قال : {وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} .

الحلقة (٢٥)

الآيـــــات :

قال تعالى : {وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (٤٨) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠) إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٥٢)}.

⇦ تُقرأ {وَيَتَّقْهِ} بسكون القاف في قراءة حفص.

⇦ وهنالك قراءات أخرى {وَيَتَّقِهِ} بكسر القاف.

يخبر تعالى عن صفات المنافقين الذين يظهرون خلاف ما يبطنون، يقولون قولًا بألسنتهم {آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ

{وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ} أي : يخالفون أقوالهم بأعمالهم فيقولون ما لا يفعلون، ولهذا قال تعالى: {وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ} .

{وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ} أي إذا طُلِبوا في اتباع الهدى فيما أنزل الله على رسوله أعرضوا عنه واستكبروا في أنفسهم عن اتباعه.

وفي الطبراني من حديث روح بن عطاء بن أبي ميمونة عن أبيه عن الحسن عن سمرة مرفوعاً: (من دُعِيَ إلى سلطان فلم يُجِب فهو ظالم لا حق له) .

{وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ} أي إذا كانت الحكومة لهم لا عليهم جاءوا سامعين مطيعين ولكن إذعانهم لم يكن من اعتقاد أن ذلك هو الحق، بل لأنه موافق لهواهم.

{أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ} أي لا يخرج أمرهم عن أن يكون في قلوبهم مرض ملازم لها، أو قد عرض لها شك في الدين، أو يخافون أن يجور الله ورسوله عليهم في الحكم، وأيًّا ما كان فهو كفر محض

{أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ} الحَيْف هنا: الجَوْر.

{بَلْ أُولَئِكَ هُمَ الظَّالِمُونَ} أي بل هم الظالمون الفاجرون.

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا مبارك حدثنا الحسن قال: كان الرجل إذا كان بينه وبين الرجل منازعة فدُعِي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو محقّ أذعن وعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم سيقضي له بالحق، وإذا أراد أن يظلم فدُعي إلى النبي صلى الله عليه وسلم أعرض وقال: أنطلق إلى فلان، فأنزل الله هذه الآية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من كان بينه وبين أخيه شيء ، فدعي إلى حكم من حكام المسلمين فأبى أن يجيب ، فهو ظالم لا حق له).

{إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ} الآية.

{سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا} أي: سمعاً وطاعة.

{أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا} ذُكِر لنا أن عبادة ابن الصامت لما حضره الموت قال لابن أخيه زُنادة بن أبي أمية: "ألا أنبئك بماذا عليك وماذا لك؟ قال: بلى، قال: فإن عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك، وعليك أن تقيم لسانك بالعدل، وألا تنازع الأمر أهله، إلا أن يأمروك بمعصية الله بواحا، فما أمرت به من شيء يخالف كتاب الله فأتبع كتاب الله".

وقال قتادة : وذُكر لنا أن أبا الدرداء قال: "لا إسلام إلا بطاعة الله، ولا خير إلا في جماعة، والنصيحة لله ولرسوله وللخليفة وللمؤمنين عامة".

الحلقة (٢٦)

الآيـــات :

قال تعالى : {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ(٥٣) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ(٥٤)} .

✓ المفردات الغريبة :

{وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا} فتم الكلام.

{طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ} ليس من مقولهم، وليس داخل في القسم

في هذا الكلام حذف للإيجاز يستدل بظاهره عليه، كأن القول كان للمنافقين، ويحلفون في الظاهر على ما يضمرون خلافه، فقيل لهم لا تقسموا هي طاعة معروفة صحيحة لا نفاق فيها لا طاعة فيه للخلق.

وبعض النحويين يقولون: الضمير فيها لتكن منكم طاعة معروفة.

وهنالك تقدير ثالث قدره الإمام ابن كثير وآخرون وهو: "طاعتكم طاعة معروفة" .

والمقصود من هذا كله هو أن طاعة معروفة ليست مدح للمنافقين، وإنما هي رد عليهم وذم عليهم

❖ الآية الثـانيـة :

✓ **معاني المفردات :**

- {فَإِن تَوَلَّوا} أي أعرضوا.
- {فَإِنَّمَا عَلَيْهِ} أي على الرسول .
- {مَا حُمِّلَ} أي من التبليغ .
- {وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ} من القبول ، أي ليس عليه ألا تقبلوا.

❖ **الآية التالية :**

{قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} أي اتبعوا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

{وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا} وذلك لأنه يهدي إلى الصراط المستقيم.

يقول رحمه الله : **وقال وهب بن منبه** : " أوحى الله إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل - يقال له : شعياء - أن قم في بني إسرائيل، فإني سأطلق لسانك بوحي . فقام فقال : يا سماء اسمعي ، ويا أرض انصتي ، فإن الله يريد أن يقضي شأنا ويدبر أمرا هو منفذه ، إنه يريد أن يحول الريف إلى الفلاة ، والآجام في الغيطان ، والأنهار في الصحاري ، والنعمة في الفقراء ، والمُلك في الرعاة ، ويريد أن يبعث أميا من الأميين ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ، لو يمر إلى جنب السراج لم يطفئه من سكينته ، ولو يمشي على القصب اليابس لم يسمع من تحت قدميه ، أبعثه مبشرا ونذيرا ، لا يقول الخنا ، أفتح به أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا ، وأسدده لكل أمر جميل ، وأهب له كل خلق كريم ، وأجعل السكينة لباسه ، والبر شعاره ، والتقوى ضميره ، والحكمة منطقه ، والصدق والوفاء طبيعته ، والعفو والمعروف خُلقه ، والحق شريعته ، والعدل سيرته ، والهدى إمامه ، والإسلام ملته ، وأحمد اسمه ، أهدي به بعد الضلالة ، وأعلم به من الجهالة ، وأرفع به بعد الخمالة ، وأعرف به بعد النكرة ، وأكثر به بعد القلة ، وأغني به بعد العيلة ، وأجمع به بعد الفرقة ، وأؤلف به بين أمم متفرقة ، وقلوب مختلفة ، وأهواء متشتتة ، وأستنقذ به فئاما من الناس عظيما من الهلكة ، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، موحدين مؤمنين مخلصين ، مصدقين بما جاءت به رسلي ". رواه ابن أبي حاتم .

الحلقة (٢٧)

الآيـــات :

قال تعالى : {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ(٥٥) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ(٥٦) لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ(٥٧)} .

"هذا وعد من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض أي أئمة الناس والولاة عليهم".

✓ **سبب نزول الآية :**

يقول الربيع بن انس عن أبي العالية في قوله {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} الآية، قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمكة نحوا من عشر سنين -يعني ثلاثة عشر سنه تقريبا- يدعون إلى الله وحدة لا شريك له سرا، وهم خائفون لا يأمرون بالقتال، حتى أمروا بعد بالهجرة إلى المدينة، فقدموا المدينة فأمرهم الله تعالى بالقتال، فكانوا منها خائفين يمسون في سلاح ويصبحون في سلاح، فغيروا بذلك ما شاء الله .

ثم إن رجل من أصحابه قال: يا رسول الله أبد الدهر نحن خائفون هكذا ؟ أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع عنا السلاح ؟! فقال الرسول صلى عليه وسلم: (لن تغيروا إلا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيا ليست فيهم حديدة). وأنزل الله هذه الآية فأظهر الله نبيه على جزيرة العرب فآمنوا ووضعوا السلاح، ثمَّ إن الله قبض نبيه صلى الله عليه وسلم فكانوا كذلك آمنين في

إمارة أبي بكر وعمر وعثمان حتى وقعوا فيما وقعوا.... إلى آخر ما قال رحمه الله .

قال بعض السلف : خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حق في كتابه، ثم تلا هذه الآية {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ}.

فإذاً وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات بعدة هبات :

١- الاستخلاف .

٢- التمكين {وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ} .

٣- تبديل الخوف إلى أمن.

أما تمكين دينهم الذي أرتضى لهم : عن عدي بن حاتم حين وفد عليه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أتعرف الحيرة؟) قال: لم أعرفها ولكن قد سمعت بها ؟ قال: (والذي نفسي بيده ليتمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة- يعني المرأة - من الحيرة حتى تطوف بالبيت من غير جوار أحد ، و لتفتحن كنوز كسرى ابن هرمز ، قلت: كسرى ابن هرمز؟ قال: نعم كسرى بن هرمز، وليبذلن المال حتى لا يقبله أحد) .

ويذكر أيضا حديثا آخر عن الرسول صلى الله عليه وسلم: (بشر هذه الأمة بالسناء ، والرفعة ، والدين ، والنصر ، والتمكين في الأرض ، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب).

هذه المواصفات هي : {يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً} .

عن معاذ بن جبل حدثه قال : "بينما أنا رديف رسول الله صلى الله علية وسلم ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل، قال: (يا معاذ) ، قلت : لبيك يا رسول الله وسعديك ، قال : ثم سار ساعة ، ثم قال: (يا معاذ بن جبل) قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك ، ثم سار ساعة، ثم قال: (يا معاذ بن جبل) قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: (أتدري ماحق الله على العباد ؟؟) قلت: الله ورسله أعلم. قال: (فأن حق الله على العباد أن يعبدوه لا يشركوا به شيئا) الحديث .

وقوله تعالى : {وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} .

من ضمن الشروط التي تحقق للأمة التمكين ما ذكره الله في الآية التالية : {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٥٦)}

{لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ} .

أي لا يعجزون الله ، بل الله قادر عليهم وسيعذبهم على ذلك أشد العذاب، أي مهما كان تمكنهم في الأرض ومهما طال أمدهم في الأرض وسيطرتهم على الناس، فإنهم لا يعجزون الله عز وجل ولا يستطيعون الفكاك منه في الدنيا أو الآخرة ، لهذا بين الله تعالى مآلهم فقال تعالى: {وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} أي لبئس المآل مآل الكافرين ، وبئس القرار ، وبئس المهاد .

الحلقة (٢٨)

الآيـــــات :

قال تعالى : {يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاء ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ(٥٨) وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ(٥٩) وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاء اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(٦٠)} .

فالآيتان الأوليان في موضوع الاستئذان ، والثالثة في الحجاب .

✓ المفردات الغريبة :

■ {لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} : أي

العبيد والإماء وهم المملوكين .

■ {وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ} : أي الأطفال .

ثم بين الله تعالى هذه العورات الثلاث فقال: {مِن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاء ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ}وهي أوقات للنوم .

{لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ} أي بعد هذه الأوقات يجوز لهاتين الفئتين الدخول بدون استئذان ، أما غير هذين النوعين وهم الرقيق والأطفال ، فإنه يتعين عليهم الاستئذان في كل الأوقات .

{وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ} فالاستئذان دائم في داخل البيت ومستمر في كل وقت ، لكن يخفف على الأطفال بأن يكون استئذانهم في هذه الأوقات الثلاثة فقط دون غيرها .

{طَوَّافُونَ عَلَيْكُم} يريد أنهم خدمكم فلا بأس أن يدخلوا في غير هذه الأوقات من غير إذن.

{وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا} في كل وقت ، أي حكمهم كحكم سائر الكبار .

{كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ} يعني الرجال .

{وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاء} أي العُجز ، واحدها قاعد .

☑ لماذا سميت قاعد ؟

يبين المؤلف ثلاثة أسباب :-

١. لقعودها عن المحيض.

٢. أو لقعودها عن الولد .

٣. لأنها عجزت عن التصرف وكثرة الحركة وإطالة القعود وهو الذي يرتضيه ابن كثير .

{فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ} أي الرداء ، والمقصود هنا بعض ثيابهن ، وإنما يعبر بالكل ويراد به الجزء.

✓ المسـائـل :

الأولى : المناسبة بين الآيات :

"هذه الآيات الكريمة اشتملت استئذان الأقارب بعضهم على بعض ، وما تقدم في أول السورة هو استئذان الأجانب بعضهم على بعض . والأجانب يقصد بهم الذين خارج البيت ، وأما الأقارب يقصد بهم الذين داخل البيت .

الثانية :

يأمر الخادم والأطفال أن لا يهجموا على البيت في هذه الأحوال.

قال ابن عباس: "ترك الناس ثلاث آيات فلم يعملوا بها {يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ....} الخ الآية

و وآية في سورة النساء {وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً (٨)}

والآية التي في سورة الحجرات {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}

وينقل أيضاً عن ابن عباس قال: " إن الله ستير يُحب الستر، كان الناس ليس لهم ستور على أبوابهم ولا حجال، وربما فاجأ الرجل خادمه أو ولده أو يتيمه الذي في حُجره وهو على أهله، فأمرهم الله أن يستأذنوا في تلك العورات التي سمى الله، ثم جاء الله بعد بستور فبسط عليهم الرزق فاتخذوا الستور واتخذوا الحجال ، فرأى الناس أن ذلك قد كفاهم من الاستئذان الذي أمروا به"

والحجال : هي بيت كالقبة.

الثالثة :

مما يدل على إنها محكمة ولم تنسخ قوله : {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}

فما جاء على نسق مثل هذه الآيات في الغالب أنه يكون محكم .

الرابعة :

{وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} أي إذا بلغ الأطفال الذين كانوا يستأذنون في العورات الثلاث الحلم ، وجب عليهم أن يستأذنوا

عليكم على كل حال

الخامسة :

{فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ} أي ليس عليهن من الحجر والتستر كما على غيرها

قال سعيد ابن جبير في قراءة عبد الله بن مسعود : "أن يضعن من ثيابهن".

وقال سعيد ابن جبير : {غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ} يقول : لا يتبرجن بوضع الجلباب أن يرى ما عليها من الزينة .

{وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} فبين الله لهم الأمر المباح، ثم بين لهم الأمر الأحسن والمستحسن والمندوب .

الحلقة (٢٩)

الآيـــــات :

قال تعالى : {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦١)}.

هذه عادة القرآن الكريم في رفع الحرج، والتيسير على الأمة، فحينما يحكم الله بحكمه، ويقضي بقضائه في بيان ما يسهل على الناس في الأخذ بهذا الحكم والعمل به، بحيث يبين لهم سبحانه وتعالى أنه رفع عنهم الحرج والإصر وما يشق عليهم في هذه الأحكام، هذا فيه إغراء وتشجيع وحفز للنفوس للأخذ بهذه الأحكام.

واختلف المفسرون رحمهم الله في المعنى الذي رُفِع من أجله الحرج عن الأعمى والأعرج والمريض،

القول الأول : بعض المفسرين ومنهم عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يرى أنها نزلت في الجهاد

أي أنه لا أثم عليهم في ترك الجهاد لضعفهم وعجزهم.

القول الثاني : يرى أنهم يتحرجون من الأكل مع الأعمى

فربما سبقه غيره إلى الطيب، ولا مع الأعرج لأنه لا يتمكن من الجلوس فيفتات عليه جليسه، والمريض لا يستوفي من الطعام مثل غيره، فكرهوا أن يؤآكلوهم كي لا يظلموهم

ولهذا جاء المعنى الأخر؛ **عن الضحاك** : أنهم كانوا قبل المبعث يتحرجون من الأكل مع هؤلاء تقذراً وتقززاً .

✓ **سبب نزول الآية :**

يذكره ابن كثير **عن السدي** قال : "كان الرجل يدخل بيت أبيه أو أخيه أو ابنه فتتحفه المرأة بشيء من الطعام فلا يأكل من أجل أن رب البيت ليس ثمَ فقال الله تعالى: {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ.... } إلى قوله {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً}

ويذكر ابن كثير عن علي بن أبي طلحة سبب نزول آخر في هذه الآية وتتمتها يقول : **قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس** في هذه الآية {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً} ، وذلك لمَّا أنزل الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ} قال المسلمون إن الله تعالى قد نهانا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل، والطعام هو أفضل من الأموال، فلا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد، فكف الناس عن ذلك، فأنزل الله تعالى {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ...}

وكانوا أيضاً يأنفون ويتحرجون أن يأكل الرجل الطعام وحده حتى يكون معه غيره ، فرخص الله لهم في ذلك فقال: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً} . {وَلَا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ}

لاشك أن صاحب البيت هو أولى بطعامه! وأولى بمأكله

ومشربه فممن يستأذن ؟ هل يستأذن من نفسه؟! **لهذا علل ابن كثير لهذا فقال: "إنما ذكر هذا - وهو معلوم- ليعطف عليه غيره في اللفظ وليساويه ما بعده في الحكم** ". وهذه الآية تصدق على كل من يسكن في البيت.

وقوله عز وجل: {أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ} إلى قوله تعالى: {أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ} .

يرى ابن كثير رحمه الله تعالى أنه قد يستدل به بمن يوجب نفقة الأقارب بعضهم على بعض، كما هو مذهب أبو حنيفة والإمام أحمد بن حنبل في المشهور عنهما.

{أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ} ، الذي يوكله صاحب البيت سواء أكان خادم أو وكيل أو أمين أو حارس

يذكر الإمام ابن كثير عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها : "كان المسلمون يرغبون في النفير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم -يعني في الجهاد- ، فيدفعون مفاتحهم إلى ضمنائهم -يعني وكلائهم- ، ويقولون قد أحللنا لكم أن تأكلوا ما احتجتم إليه فكانوا يقولون: "إنه لا يحل لنا أن نأكل؛ إنهم أذنوا لنا من غير طيب أنفسهم وإنما نحن أمناء" فأنزل الله : {أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ} .

{أَوْ صَدِيقِكُمْ} أي بيوت أصدقائكم وأصحابكم إذا علمتم أن ذلك لا يشق عليهم ولا يكرهون ذلك .

يقول قتادة : "إذا دخلت بيت صديقك فلا بأس أن تأكل بغير إذنه".

{لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً} فهذه رخصة أن يأكل الرجل وحده والأكل مع الجماعة أفضل وأبرك كما في الحديث (أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم إنا نأكل ولا نشبع، فقال: فلعلكم تأكلون متفرقين، اجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه) .

{فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً} .

هنا اختلف العلماء في السلام على الأنفس ، ماذا يقصد به ؟

"إذا دخلت المسجد فقل السلام على رسول الله، وإذا دخلت على أهلك فسلم عليهم، وإذا دخلت بيت ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ".

ويقول قتادة : "إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم، وإذا دخلت بيت ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين؛ فإنه كان يُؤمر بذلك، وحُدثنا أن الملائكة ترد عليهم" .

الحلقة (٣٠)

الآيـــــات :

قال تعالى : {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ{٦٢} لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(٦٣) أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ(٦٤)} .

تتحدث عن أدب الاستئذان ، ولكن هنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

✓ المفردات الغريبة :

■ قوله تعالى: {قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذاً} ماذا يعني بـ "**اللواذ**" ؟

قال ابن قتيبة : اللواذ أي من يستتر بصاحبه في استلاله ويخرج، يقال: "لاذ فلان بفلان إذا أستتر به"

فاللواذ مصدر لاوذتُ به ، فعل اثنين، ولو كان مصدر لذت لكان لياذًا، إذا هو مصدر لاوذت من المفاعلة، لأنه يكون من اثنين من ساتر ومستتر، و المقصود هو المستتر.

{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} "كما أمرهم بالاستئذان في الدخول كذلك أمرهم بالاستئذان عند الإنصراف"

كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (ليست الأولى بأولى من الآخرة).

"لاسيما إذا كانوا في أمر جامع مع الرسول صلى الله عليه وسلم من صلاة جمعة أو عيد أو جماعة أو اجتماع لمشورة أو نحو ذلك". وهو يشير إلى معنى الآية {عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ} {فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} إذًا ما يتعلق بجلساء الرسول صلى الله عليه وسلم يتعين عليهم الاستئذان، وأما الرسول صلى الله عليه وسلم فإن شاء أذن وإن شاء لم يأذن .

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم، فإذا أراد أن يقوم فليسلم، فليست الأولى بأحق من الآخرة) إذن السلام والاستئذان مقترنان سواء في الدخول أو في الخروج.

يقول الله تعالى: {لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضاً} .

هذا القول الأول : أي لا تنادوه كما ينادي بعضكم بعضاً، فالمقصود بالدعاء هنا المناداة .

وهو رواية الضحاك عن ابن عباس .

القول الثاني : يروى أيضاً عن ابن عباس حكاه ابن أبي حاتم يقول: "لا تعتقدوا أن دعائه على غيره كدعاء غيره؛ فإن دعائه مستجاب، فاحذروا أن يدعوا عليكم فتهلكوا "

القول الأول هو الأظهر

{قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذاً} قال مقاتل بن حيان : هم المنافقون .

{فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ} أي أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وهو سبيله وطريقته ومنهاجه وسنته وشريعته كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) .

ويحذرهم الله أن تصيبهم فتنة ، فما هي هذه الفتنة ؟

"أي تصيبهم في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة"..

{أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} أي في الدنيا بقتل أو حدٍ أو حبس أو نحو ذلك .

{أَلَا إِنَّ لِلَّهِ} ، وفيه تنبيه للسامع لأن يرعي سمعه لما سيأتي بعد .

{أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} يعني أن له الملك في السموات والأرض .

{قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ} هنا "قد" **للتحقيق** أي عالم به، مشاهد له، لا يعزب عنه مثقال ذرة،

"قد" تأتي بعدة معاني ، منها :

- ⇦ قد: التي تكون للتقليل، مثل : "قد يجود البخيل"
- ⇦ وقد: التي تكون للتَّوَقع، فنقول مثلاً: "قد يقدم الغائب".
- ⇦ {قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ} فهذا للتحقيق، أي هو عالم به مشاهد له لا يعزب عنه مثقال ذرة .

{وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا} أي يوم ترجع الخلائق إلى الله عز وجل، وهو يوم القيامة

سـورة الـروم

الحلقة (٣١)

الآيـــات :

قال تعالى: {فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٣٨) وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ (٣٩) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٠)} .

{فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ} لها علاقة

وطيدة بقوله عز وجل : {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣٧)} فالحديث إذن عن موضوع الرزق، وعن موضوع الإنفاق {فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ} أي أنه إذا كان الله عز وجل هو الذي يبسط الرزق وهو الذي يعطي وهو الذي يمنع، فإنه هو الذي أمرك أن تؤتي ذوي القربى حقوقهم ؛ إنما أنت مستخلف، وأنت سبب يريد الله تعالى أن يبتليك وأن ينظر كيف تعمل في هذا المال.

فقال الله تعالى : {فَآتِ} أي أعط .

{ذوي القربى حقه} : أي حقه من البر والصلة.

{وَالْمِسْكِينَ} هو الذي لا شيء له ينفق عليه ، أو له شيء لا يقوم بكفايته .

{وَابْنَ السَّبِيلِ} هو المسافر المحتاج إلى نفقة وما يحتاج إليه في سفره .

{ذَلِكَ} أي إيتاء ذوي القربى حقوقهم والمساكين وأبناء السبيل .

{خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ} أي النظر إليه يوم القيامة.

{وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ} المقصود بالربا هنا هو الهدية.

يقول الإمام ابن كثير : " أي من أعطي عطية يريد أن يرد الناس عليه أكثر مما أهدى لهم، فهذا لا ثواب له عند الله".

{فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ} أي أن الله لا يكافئ عليه، لهذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (لقد كدت ألا أتهم إلا من قرشي أو ثقفي) لأن غيرهم من العرب كانوا إذا وهبوا إنسانا شيئا ما فإنهم ينتظرون منه أن يهب لهم مثله أو أحسن منه .

قاله الضحاك واستدل بقوله : {وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (٦)} [سورة المدثر] . أي لا تعط العطاء تريد أكثر منه" .

يعني أن هذا النهي خاص بالرسول صلى الله عليه وسلم ومعناه أن غير الرسول صلى الله عليه وسلم يباح لهم أن يفعلوا.

{وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ} .

يقول ابن عباس رحمه الله : الربا رباءان ، فربا لا يصح - يعني ربا البيع- ، وربا لا بأس به وهو هدية الرجل يريد فضلها وأضعافها، ثم تلا هذه الآية {وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ} .

{وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ} أي الذين يضاعف الله لهم الثواب والجزاء .

الآية التالية يقول الله عز وجل فيها : {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٠)}.

فيه تذكير للإنسان بمبدئه ومصيره، فإذا عرف الإنسان مبدأه، فإن هذا يعرِّفه قيمة النعمة التي أسداها الله عز وجل إليه، وقدر ما وهبه الله عز وجل وأعطاه من غير نول ومن غير أن يريد منه مقابل.

{هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ} "أي لا يقدر أحد منهم على فعل شيء من ذلك.

سـورة الأحـزاب

الحلقة (٣٢)

الآيـــــات :

قال تعالى : {مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (٤) ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥)}

✓ الموضوع العام للآيات :

يقول ابن كثير : " يقول تعالى موطئا قبل المقصود المعنوي أمرا حسيا معروفا، وهو أنه كما لا يكون للشخص

الواحد قلبان في جوفه ولا تصير زوجته التي يظاهر منها أمًا له ؛ كذلك لا يصير الدعي ولدا للرجل إذا تبناه فدعاه ابنا له ".

{وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ} "هذا هو المقصود بالنفي، فإنها نزلت في شأن زيد بن حارثة مولى النبي صلى الله عليه وسلم، كان النبي صلى الله عليه وسلم قد تبناه قبل النبوة ، وكان يقال له زيد بن محمد، فأراد الله تعالى أن يقطع هذا الإلحاق" .

{ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ} أي تبنيكم لهم قول لا يقتضي أن يكون ابنا حقيقيًا.

{وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ} الحق هنا هو العدل ، والسبيل هنا هو الصراط المستقيم .

✓ سبب نزول هذه الآية :

الأول : **عن مجاهد والحسن وغيرهما** قال : "نزلت في رجل من قريش كان يقال له ذو القلبين ، وأنه كان يزعم أن له قلبين كل منهما بعقل وافر فأنزل الله هذه الآية ردا عليه".

الثاني : **عن الإمام أحمد بن حنبل عن قابوس بن أبي ظبيان** أن أباه حدثه، قال : قلت لابن عباس أرأيت قول الله تعالى : {مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ} ما عنى بذلك ؟ قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يصلي، فخطر خطرة، فقال المنافقون الذين يصلون معه ألا ترون أن له قلبين قلبا معكم وقلبا معهم، فأنزل الله {مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ}. الخطرة هنا المقصود بها الوسوسة .

الثالث : **عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال** : "بلغنا أن ذلك كان في زيد بن حارثة ضُرِبَ له مثل يقول ليس ابنُ رجل آخر ابنَك ".

قال مجاهد وقتادة وابن زيد قال : أنها نزلت في زيد بن حارثة ، وهذا يوافق ما قدمناه في التفسير .

ابن كثير يرجح هذا، يرجح أن الآية نزلت في زيد بن حارثة، وهذا الحقيقة هو الأوفق أيضا لموضوع السورة

{ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ} "هذا أمر ناسخ لما كان في ابتداء الإسلام من جواز ادعاء الأبناء الأجانب.

فأما دعوة الغير ابنا على سبيل التكريم والتحبيب، فليس مما نهي عنه في هذه الآية.

{فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ} أي إنه يستحب أن ينادى من تُبُني بالأخ أو بالمولى .

وهنا يسوق الإمام ابن جرير حديثا يذكره عنه ابن كثير عن عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه قال: قال أبو بكرة: قال الله عز وجل : {ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ} فأنا ممن لا يعرف أبوه وأنا من إخوانكم ، وجاء في الحديث (من ادعى لغير أبيه، وهو يعلمه، كفر) .

{وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ} أي إذا نسبتم بعضهم إلى غير أبيه في الحقيقة خطأ بعد الاجتهاد واستفراغ الوسع.

{وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} قال : إنما الإثم على تعمد الباطل.

الحلقة (٣٣)

الآيـــــات :

قال تعالى : {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٦)} .

هذه الآية تبين مكانة النبي –صلى الله عليه وسلم– وما له من الحقوق ، وما لأزواجه أيضا من الحقوق ، وما للأرحام بعضهم على بعض من الحقوق أيضا .

{النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ} : أي أنه له الأولوية وله الحق قبل حق أي مسلم.

يورد المؤلف ابن كثير –رحمه الله– عدة أحاديث تؤيد أو تبين معنى ما جاء في قول الله تعالى : {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ} **ومنها** :

ما جاء في الصحيح (والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين) .

وفيه أيضا أن عمر –رضي الله عنه– قال : "يا رسول الله والله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي" ،قال : (لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك) فقال: "يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء حتى من نفسي" ، فقال: (الآن يا عمر) أي الآن كمل إيمانك ، وتمت محبتك .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم : قال : (ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، اقرءوا إن شئتم {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ} فأيما مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا ، فإن ترك دينا أو ضياعا فليأتني فأنا مولاه) .

وعن جابر بن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : (أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، فأيما رجل مات وترك دينا فإلي، ومن ترك مالا فلورثته) .

{وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} معناه **يقول ابن كثير** : "أي في الحرمة ، والاحترام ، والإكرام ، والتوقير ، والإعظام".

"ولكن لا تجوز الخلوة بهن، ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالإجماع".

"وإن سمى بعض العلماء بناتهن أخوات المؤمنين كما هو منصوص عن الشافعي ، وهو من باب إطلاق العبارة لا إثبات الحكم". مثل قولهم مثلا معاوية خال المؤمنين.

وهل يقال لهن : أمهات المؤمنات فيدخل النساء في جمع المذكر السالم تغليبا ؟

كل ما يطلق على الرجال يصدق على النساء ، وإنما التخصيص يأتي لأجل سياق معين أو لسبب نزول معين .

هل يقال للنبي–صلى الله عليه وسلم– أبو المؤمنين ؟

عن ابن عباس وأبي بن كعب أنهما قرءا {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم} قال الرسول –صلى الله عليه وسلم– : (إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم). فهذه الإطلاقات عند بعض العلماء جائزة، وحين نقول بجوازها فإن هذا على وجه إطلاق التعبيرات فقط ، لا على أنها أحكام .

وهناك رأي آخر للعلماء يرى أنه لا يجوز أن يقال مثلا خال المؤمنين ولا نحو هذه العبارات واحتجوا بقوله : {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ} ". هذا القول الآخر هو من باب سد الذرائع .

{وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ} أي في حكم الله.

{وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ} : أي أولى بالتوارث " .

عن الزبير بن العوام قال : " أنزل الله عز وجل فينا خاصة معشر قريش والأنصار {وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ} وذلك أنا معشر قريش لما قدمنا المدينة قدمنا ولا أموال لنا فوجدنا الأنصار نعم الإخوان ، فواخيناهم ووارثناهم فوآخى أبو بكر خارجة بن زيد ، وآخى عمر فلانا ، وآخى عثمان بن عفان رجلا من بني زريق سعد الزرقي ، و يقول بعض الناس غيره ، قال الزبير : وواخيت أنا كعب بن مالك فجئته فابتعته فوجدت السلاح قد ثقله فيما يرى ، فوالله يا بني لو مات يومئذ عن الدنيا ما ورثه غيري حتى أنزل الله هذه الآية فينا معشر قريش والأنصار خاصة فرجعنا إلى مواريثنا ".

{إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا}

فيعطونه ما تيسر، ولهذا قال: {وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ}

يقول ابن كثير : " ذهب الميراث وبقي النصر والبر والصلة والإحسان والوصية ".

{كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا} أي هذا الحكم مكتوب في الكتاب الأول الذي لا يبدل ولا يغير.

الحلقة (٣٤)

الآيـــــات :

قال تعالى : {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ

الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا} .

✓ سبب النزول :

هذا أمر من الله عزَّ وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم بأن يُخيِّر نساءه ، **وهذه هي " آية التخيير " الشهيرة التي يُخيِّر الرسول صلى الله عليه وسلم فيها أزواجه بين :**

١ – أن يبقين معه على شظف العيش ٢ – أو أن يُسرِّحهن عليه الصلاة والسلام سراحاً جميلا ؛ أي يُطلِّقهن .

✓ المسـائـل :

الأولى : نُلاحظ في هذه الأحاديث أهميَّة الشورى ، والوضوح الذي يكون في البيت . حينما أُمِرَ الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يُخيِّر ، فلم يدع واحدة من أزواجه عليه الصلاة والسلام إلَّا وبيَّن لها .

وفي هذه الآية في قوله عزَّ وجلّ : {فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا} .

- {أُمَتِّعْكُنَّ} : أي أُعطِيَكُنَّ حقوقكنَّ .
- {وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا} : أي أطلِّقَ سراحكُنّ .

أزواج النَّبي :

أ – خمس من قريش ، وهُنَّ : عائشة ، وحفصة ، وأم حبيبة ، وسَودة ، وأم سلمة .

ب – صفيَّة بنت حُيي النظرية ، وميمونة بنت الحارث الهلاليَّة ، وزينب بنت جحش الأسديَّة ، وجويرية بنت الحارث المُصطلقيَّة .

{يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا} .

يلاحظ التعبير بـ "مبيِّنة" ، وأنَّ الفاحشة لا يُعاقب عليه الشرع إلَّا حينما تكون بهذا المثابة .

معنى "يُضاعف" ، ما هي المُضاعفة ؟

➢ أوضح ابن قُتيبة {يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ} ، أنَّه المثلين .

➢ ذهب أبو عُبيدة إلى : أنَّه يُجعل الواحد ثلاثة ، لا اثنين ؛ يعني العذاب الأصلي وفوقه الضعفين .

يقول ابن كثير : ولا أراه كذلك ! لأنَّه يقول بعده : {وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ}

فلذلك قرأ أبو عَمْرو : "يُضَعَّف" ؛.

قال مالك عن زيد بن أسلم : {يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ} أي في الدنيا والآخرة .

قال تعالى : {وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا} .

"يسيرا" : أي سهلاً هيِّناً .

{وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا} .

ذكر عدله وفضله في قوله : {وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ} .

{يَقْنُتْ} : أي يُطع الله ورسوله ويستجيب .

{نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا} .

أي في الجنَّة ، فإنهنَّ في منازل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ في أعلى علِّيين ، وفوق منازل جميع الخلائق ؛ في "الوسيلة" التي هي أقرب منازل الجنَّة إلى العرش ، وهذه خصِيصة لأزواج النَّبي صلى الله عليه وسلم ؛ بأن يجعل لهنَّ في رفقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه في الآخرة .

الحلقة (٣٥)

الآيـــات :

قال تعالى : {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ

الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (٣٤)} .

✓ المفردات الغريبة :

- {فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ} : فلا تلِنَّ بالقول .
- {فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ} "**مرض**" : أي فجور .
- {وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا} "**معروفا**" : أي صحيحاً ، لا يُطمِع فاجرًا .

✓ القراءات :

{وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ} :

⇦ أمَّا أن نقرأ : (وقِرنَ في بيوتكن) ؛ فيكون المعنى من الوقار . الجمهور.

⇦ وإمَّا أن نقرأ : (وقَرن في بيوتكن) ؛ بالفتح فيكون المعنى من القرار . حفص ونافع.

المُخاطب والمعني في هذا هم أزواج النَّبي صلى الله عليه وسلم ، لأنَّ الخطاب واضح وصريح : {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ} ،وهو يصدق على كلِّ مؤمنة .

{فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ}

أنَّ الخضوع بالقول يتناول ثلاثة أمور :

١ – التليين .

٢ – الترقيق .

٣ – الترخيم .

{وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا} **قال ابن زيد** : قولاً حسناً جميلاً معروفاً في الخير .

❖ أمَّا قوله عزَّ وجلَّ : {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ} :

أي الزمن بيوتكن ، فلا تخرجن بغير حاجة شرعيَّة .

يجوز أن تخرج المرأة ، لكن بشروط معينه :

١ – عند الحاجة أوَّلاً .

٢ – بدون خضوع في القول .

٣ – وبدون تطيب وتجمُّل .

٤ – وبدون فتنة .

{وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى}.

يقول قتادة : إذا خرجتن من بيوتكن ، وكانت لهنَّ مِشْيَة تكسُّر وتغنُّج ، فنهى الله عن ذلك .

{وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى} "**التبرج**" : أن تُلقِيَ الخمار على رأسها ولا تشدُّه .

{وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} .

يقول الإمام ابن كثير : نهاهُنَّ أولاً عن الشر ، ثمَّ أمرهنَّ بالخير.

{إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} .

✓ سبب نزول الآية :

"هذا نصٌّ في دخول أزواج النَّبي صلى الله عليه وسلم في أهل البيت .

عن عكرمة : "أنَّه كان يُنادي في الأسواق : {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} ، نزلت في نساء النَّبي صلى الله عليه وسلم خاصَّة".

يقول ابن كثير رحمه الله : إن كان المُراد : أنَّهنَّ كُنَّ سبب النزول دون غيرهنَّ ؛ فصحيح ، وإن أُريد أنَّهنَّ المُراد فقط دون غيرهنَّ ؛ ففي هذا نظر ؛ فإنَّه وردت أحاديث تدلُّ على أنَّ المُراد أعم من ذلك .

يقول ابن كثير في ختام عِدَّة أحاديث ساقها : " ثمَّ إن الذي لا يشكُ فيه من تدبَّر القرآن ، أنَّ نساء النبي صلى الله عليه وسلم داخلات في قوله : {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} . فإنَّ سياق الكلام معهنَّ " .

{وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ} .

"**واذكرن**" : أي اعملن بما يُنزِلُ الله على رسوله في بيوتكنَّ من الكتاب والسُنَّة ، **قاله قتادة وغيرُ واحد** . واذكرن هذه النِّعمة التي خُصِّصتن بها من بين النَّاس ؛ أنَّ الوحي ينزل في بيوتكنَّ دون سائر النَّاس .

{إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا} .

{لَطِيفًا} : أي بلطفه بكُنَّ بلغتنَّ هذه المنزلة .

{خَبِيرًا} : أي وبخبرته بكنَّ ، وأنَّكنَّ أهل لذلك ؛ أعطاكنَّ ذلك ، وخصكنَّ بذلك .

{إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا} أي ذا لطفٍ بكنَّ إذ جعلكنَّ في البيوت التي تُتلى فيها آيات الله والحكمة ؛ وهي السُنَّة .

{وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ} .

✓ **معاني الكلمات :**

{آيَاتِ اللَّهِ} : أي القرآن الكريم .

{وَالْحِكْمَةِ} : أي سُنَّة النبي صلى الله عليه وسلم .

{خَبِيرًا} : أي بكُنَّ إذ اختاركُنَّ للرسول أزواجاً .

{وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ}

قال قتادة : يمُنُّ الله عليهنَّ بذلك .

وقال عطيَّة العوفي : في قوله : {إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا} يعني لطيف باستخراجها ، خبير بموضعها . الحلقة (٣٦)

الآيـــــات :

قال تعالى : {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٣٥)} .

✓ **سبب النزول :**

١ - عن أمِّ سلمة زوج النَّبي صلى الله عليه وسلم ، تقول : قلت للنَّبي صلى الله عليه وسلم ما لنا لا نُذكر في القرآن كما يُذكرُ الرجال ؟ قالت : فلم يرعني منه ذات يوم إلَّا وندائه على المنبر ، قالت : وأنا أُسرِّح شعري ، فلففت شعري ، ثمَّ خرجت إلى حجرة من حُجر بيتي ، فجعلت سمعي عند الجريد ، فإذا هو يقول على المنبر: (يا أيُّها النَّاس إنَّ الله يقول : {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ}. إلى آخر الآية) .

٢ - وحدّثت أيضاً أمُّ سلمة رضي الله عنها ، قالت : قلت : يا رسول الله ! أيُذكرُ الرجال في كلِّ شيء ، ولا نُذكر ؟ فأنزل الله : {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ}. إلى آخر الآية .

٣ - وعن ابن عبَّاس قال : قال النِّساء للنَّبي صلى الله عليه وسلم ماله يَذكر المؤمنين ، ولا يذكر المؤمنات ؟ فأنزل الله : {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ}. إلى آخر الآية .

٤ - وعن قتادة قال : دخل نساءٌ على نساء النَّبي صلى الله عليه وسلم ، فقُلنَ : قد ذكركُنَّ الله بالقرآن ، ولم نُذكر بشيء ! أما فينا ما يُذكر ؟ فأنزل الله عزَّ وجلَّ : {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} . إلى آخر الآية .

إذن سبب نزول هذه الآية له وجهان :

الوجه الأوَّل : ما جاء عن أمِّ سلمة ، أو بعض النِّساء عموماً ممَّن سألن : ما للرجال يُذكرون في القرآن ، ولا يُذكر النِّساء ؟ أي ؛ لماذا لا يأتي التنصيص على النِّساء كما نُصَّ على الرجال ؟ فهذا ما سألت عنه أمُّ سلمة ؛ كما في أحاديث أمِّ سلمة ، وكما في حديث ابن عبَّاس ؛ حينما سأل النساء ، ولم يُحدِّد السائلة ، فقد تكون أمُّ سلمة ، وقد يكون غيرها ، ولا يبعد أن يكون غير أم سلمة ؛ لأنَّه قد يتعدَّد السبب ويكون النازل واحد ، وهذا له نظائر في القرآن الكريم في مُناسبات كثيرة .

الوجه الثاني : هو ما قرأته عليكم أخيراً ؛ وهو الأنسب لسياق الآيات ، فإنَّ الله سبحانه وتعالى قد تحدَّث عن نساء النَّبي صلى الله عليه وسلم ، وأزواجه في الآيات السابقة التي درسناها قبل هذا الدَّرس ، ثمَّ جاء الحديث عن سائر نساء المؤمنين ، فهنا **يذكر قتادة** : أنَّه دخل نساءٌ على نساء النَّبي صلى الله عليه وسلم ، فقُلنَ قد ذكركُنّ الله في القرآن ، وهو قوله : {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ....}، {وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ.....} الآيات ، ولم نُذكر بشيء ! أما فينا ما يذكر ؟ فأنزل الله : {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} . إلى آخر الآية .

قوله تعالى : {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} .

هذا دليل على أنَّ الإيمان غير الإسلام ، وهو أخص منه .

إذا اجتمعا فيكون الإسلام في الأمور الظاهرة ، ويكون الإيمان في الأمور الباطنة .

قوله تعالى : {وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ} . " **القنوت** " : هو الطاعة في سكون .

فكأنَّ القنوت أثر من آثار الإيمان ، فكلَّما كان الإيمان أعمق ، كلَّ ما كان أهدأ للبال .

{وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ} وما بعدها ، فهي أعمال ؛ منها :

١ - أعمال قوليَّة .

٢ - ومنها أعمال قلبيَّة .

٣ - ومنها أعمال ظاهرة .

الصادقين ، والصادقات ، يقول : هذا في الأقوال ، الصدق يكون في القول ، وهو علامة على الإيمان وثمرته.

قوله تعالى : {وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ} .

وهي الصبر على المصائب ، والعلم بأنَّ المقدور كائنٌ لا محالة ، فيتلقى ذلك بالصبر والثبات ، وإنَّما الصبر عند الصدمة الأُولى .

قوله تعالى : {وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ} .

الخشوع له المعاني التالية :

المعنى الأوَّل : السكون والطمأنينة .

المعنى الثاني : التؤدة والوقار .

المعنى الثالث : التواضع .

وكأنه يمثل مرتبة الإحسان

{وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ} ، والصدقة هي الإحسان إلى النَّاس .

{وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ} .

والصوم زكاة البدن ؛ لأنَّه يُنقيه ويُطهره من الأخلاق الرديئة .

قال سعيد بن جبير : من صام رمضان ، وثلاثة أيام من كلِّ شهر دخل في قوله تعالى : {وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ} .

"ولمَّا كان الصوم من أكبر العون على كسر الشهوة ؛ كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ...) ، الحديث ، ناسب أن يذكر بعده .

{وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ}

{وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ} .

عن الأغرِّ أبي مُسلم عن أبي سعيدٍ الخُدري رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : (إذا أيقض الرجل امرأته من الليل ، فصليا ركعتين ؛ كُتبا تلك الليلة من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : قلت : يا رسول الله ! أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة ؟ قال : (الذاكرين الله كثيرا والذاكرات) .

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : (سبق المُفرِّدون ! قالوا : وما المُفرِّدون ؟ قال : الذاكرون الله كثيرا) .

وعن مُعاذ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ألا أُخبركم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من تعاطي الذهب والفضة ، ومن أن تلقوا عدوكم غداً ، فتضربوا أعناقهم ، ويضربوا أعناقكم ! قالوا : بلى يا رسول الله ! قال : ذكر الله عزَّ وجلّ) .

{أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} . هذا هو خبر " إنَّ " والمعنى أي هيأ لهم منه لذنوبهم مغفرة .

{وَأَجْرًا عَظِيمًا} : وهو الجنَّة .

الحلقة (٣٧)

الآيـــــات :

قال تعالى : {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا (٣٦) وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ

لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٣٧) مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا (٣٨) الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (٣٩) مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٤٠)}.

✓ سبب نزول الآية :

الأول : قوله تعالى : {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا} يتناول قضية خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم لزينب بنت جحش، حينما خطبها لفتاه زيد بن حارثة رضي الله عنه حِب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حينما طلبها لزيد فقالت: "لست بناكحته" ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: (بل فانكحيه)، وكانت ابنة عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان فيها من الجمال والمكانة والشرف ما هو أرفع من مكانة زيد

هنا لما قالت زينب ذلك أنزل الله عز وجل: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ} قالت: يا رسول الله وأمر نفسي -قبل نزول هذه الآية-، فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسوله {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا} فقالت: قد رضيته لي مُنكحًا يا رسول الله ؟ قال: (نعم). قالت: إذا لا أعصي رسول الله قد أنكحته نفسي .

الثاني : يذكر زيد بن أسلم أنها نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وكانت من أوائل من هاجر من النساء، وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: (قد قبلت) . فزوجها زيد بن حارثة –وهذا والله أعلم- بعد فراقه زينب، فسخطت هي وأخوها وقال: إنما أردنا رسول الله فزوجنا عبده ، فنزلت {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ} .

{وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ}

يقول تعالى مخبرا عن نبيه صلي الله عليه وسلم أنه قال لمولاه زيد بن حارثة وهو الذي {أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ} أي بالإسلام {وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ} أي بالعتق.

{وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ }

عن أنس بن مالك أن هذه الآية {وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ} نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة ، **قال علي بن زيد بن جذعان** : سألني علي بن الحسين: ما يقول الحسن في قوله {وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ} فذكرت له، فقال: لا، ولكن الله أعلم نبيه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها، فلما أتاه زيد ليشكوها إليه قال: اتق الله وامسك عليك زوجك. فقال: قد أخبرتك أني مزوجكها .

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لو كتم محمد شيء مما أُوحى إليه من كتاب الله، لكتم قوله تعالى : {وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ} . وهذا يدل على الأمانة التي كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يؤدي ما وصل إليه من الوحي دون أن يتصرف فيه، حتى وإن كان في شخصه عليه الصلاة والسلام، ولو كان مخفي شيئا لأخفى هذه الآيات -كما قالت عائشة رضي الله عنها- .

{فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا} الوطر: هو الحاجة والأرب ..

وقد روى البخاري رحمه الله : عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن زينب بنت جحش رضي الله عنها كانت تفخر على نساء النبي صلي الله عليه وسلم ، فتقول: "زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سموات".

{لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا} ، أي أن الابن الذي يكون بالادعاء وبالتبعية لا يكون ابنا حقيقيا، ولهذا يجوز لمن تبناه أن يتزوج مطلقته.

{مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ} أي في هذا العمل .

{سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ} أي هذا حكم الله في الأنبياء قبله ، لم يكن ليأمرهم بشيء وعليهم في ذلك حرج.

{وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا} أي أمره الذي يقدره كائنا لا محالة.

{الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ} .

فما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم هو من تبليغ هذه الرسالة.

{وَيَخْشَوْنَهُ} أي يخافونه ولا يخافون أحدا سواه.

{مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ} أي إن قولكم زيد بن محمد إنما هو قول لا أصل له ولا تقره شريعة الله عز وجل

{وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا } وهذه فضائل للنبي صلى الله عليه وسلم .

الحلقة (٣٨)

الآيـــــات :

قال تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥٠) تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا (٥١) لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا (٥٢)} .

معنى الأجور : المهور.

{وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ} أي أباح لك التسري مما أخذت من الغنائم .

{اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ} : أي اللاتي هاجرن معك إلى المدينة .

{وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا} أي يحل لك أيها النبي المرأة المؤمنة إن وهبت نفسها لك أن تتزوجها بغير مهر إن شئت ذلك ، وهذا من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم. ومنهن "خولة بنت حكيم" "ميمونة بنت الحارث" "وأم سليم" ويقال أنها هي خولة بنت حكيم. الحاصل أن اللاتي وهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم كثير .

{إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا} أي إن اختار ذلك . لكن الواقع أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يخير ذلك .

{خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ} خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم .

إذا جاءت امرأة تهب نفسها لرجل ما فإنه لا بد أن:

أولا : هذا الأمر لا يمكن.

ثانيا : تطبق عليه شروط النكاح ، إذا وقع فلا بد من الولي ولا بد من المهر ولا بد من الشهود ومن ثم إعلان النكاح .

{قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ} أي من حصرهن في أربع نسوة حرائر .

أما الرسول صلى الله عليه وسلم فقد شرع له هذا الأمر لحكمة أرادها الله عز وجل ، قد يكون منها أن هؤلاء النسوة هن اللاتي سينقلن ما يدور في بيت الرسول صلى الله عليه وسلم .

{تُرْجِي مَن تَشَاء مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاء} . **على ما يعود الضمير**

الأول : منهم من يرى أنه يعود على الواهبات .

الثاني : ومنهم من يرى أنه يعود إلى الأزواج .

الذي اختاره ابن جرير الطبري أنه يعود إليهن جميعا ، إلى الواهبات ، وإلى الأزواج .

{ذَلِكَ أَدْنَى أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ}.

"أي إذا علمن أن الله قد وضع عنك الحرج في القسم فإن شئت قسمت وإن شئت لم تقسم، لا جناح عليك أي ذلك فعلت، ثم مع هذا أنت تقسم لهن اختيارا منك لا أنه على سبيل الوجوب ، فرحن بذلك واستبشرن به وحملن جميلك في ذلك واعترفن بمنتك عليهن في قسمك لهن وتسويتك بينهن وإنصافك لهن وعدلك فيهن ".

{وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ} أي من الميل إلى بعضهن البعض مما لا يمكن دفعه .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : "كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول: (اللَّهُمَّ هذا فعلي في ما أملك فلا تلمني في ما تملك ولا أملك) .

{وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا} أي عليماً بضمائر السرائر، حليماً يحلم ويغفر.

{لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاء مِن بَعْدُ وَلا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا} .

✓ سبب نزول الآية :

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله : ذكر غير واحد من العلماء كابن عباس ومجاهد وقتادة وابن وزيد: أن هذه الآية نزلت مجازاة لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضا عنهن على حسن صنيعهن باختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة .

{لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاء مِن بَعْدُ وَلا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ} هذا فيه كرامة لمن كن في عصمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يزيد عليهن ولا يضارهن ولا يكن لهن ضرائر فوق ذلك .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : "ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل الله له النساء ".

وعن أم سلمة رضي الله عنها : "لم يمت رسول الله صلى لله عليه وسلم حتى أحل الله له أن يتزوج من النساء ما شاء، إلا ذات محرم وذلك قول الله عز وجل : {تُرْجِي مَن تَشَاء مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاء}.

فكأن هذه الآية منسوخة بالآية التي قبلها {تُرْجِي مَن تَشَاء مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاء وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ}.

{لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاء} ما لمقصود بالنساء النساء عموما. **وهذا مروي عن أبي بن كعب.**

يقول ابن عباس : نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصناف النساء إلا ما كان من المؤمنات المهاجرات.

واختار ابن جرير:أنه يشمل النساء المذكورات في الآية الأولى رقم خمسين ويشمل سائر أصناف النساء .

{وَلا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ} نهاه عن الزيادة عليهن أو طلاق واحدة منهن واستبدال واحدة منهن إلا ما ملكت يمينه، هذا كله من خصائص الرسول صلى لله علية سلم.

الحلقة (٣٩)

الآيـــــات :

قال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا (٥٣) إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٥٤) لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا} .

هذه الآية وهي {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ} **هي آية الحجاب،**

وهذه مما وافق تنزيلها قول عمر الفاروق رضي الله عنه، فقد ثبت في الصحيحين عنه أنه قال : (وافقت ربي في

ثلاث، فقلت: يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى، فأنزل الله {وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى} ، وقلت: يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو احتجبن فأنزل الله تعالى آية الحجاب ، وقلت لأزواج النبي لما تمالأن عليه في الغيرة: {عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ} فنزلت كذلك) . وهذه الوقعة كانت في صبيحة عرس رسول الله صلى الله عليه وسلم لزينب بنت جحش رضي الله عنها وأرضاها وكان ذلك في ذي القعدة في السنة الخامسة .

ويروي الإمام البخاري فيقول : عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: " لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش، دعا القوم فطعموا، ثم جلسوا يتحدثون، فإذا هو كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام ؛ فلما قام قام من قام ، وقعد ثلاثة نفر، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم يريد أن يدخل فإذا القوم جلوس، ثم إنهم قاموا فانطلقت فجئت فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قد انطلقوا ، فجاء حتى دخل، فذهبت أدخل فألقي الحجاب بيني وبينه، فأنزل الله عز وجل {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ}.

{لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ} حظر على المؤمنين أن يدخلوا منازل رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير إذنٍ .

{غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ} أي غير متحينين نضجه واستوائه .

{وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا} في صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا دعا أحدكم أخاه فليجب عرساً كان أو غيره). وقال عليه الصلاة والسلام : (لو دعيت إلى ذراع لأجبت ، ولو أهدي إلي كراع لقبلت).

{فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا} قال: فإذا فرغتم من الذي دعيتم إليه فخففوا على أهل المنزل وانتشروا في الأرض {وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ} يعني ينبغي أنه إذا فرغ الإنسان من الطعام أن ينتشر.

{إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ} وهذا أيضاً فيه إشارة إلى أدب الحياء الذي كان يتمتع به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والمراد إن دخولكم منزله بغير إذنه كان يشق عليه لكن كان يكره أن ينهاهم عن ذلك من شدة حيائه عليه الصلاة والسلام .

{وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ} أي: ولهذا نهاكم عن ذلك وزجركم عنه .

{وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ} : أي لا تنظروا إليهن بالكلية ، ولو كان لأحدكم حاجة يريد تناولها منهن ، فلا ينظر إليهن ولا يسألهن حاجة إلا من وراء حجاب .

{ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ} أطيب .

✓ **سبب نزول قوله تعالى :** {وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ.....} الخ الآية .

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : {وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا} نزلت في رجل همَّ أن يتزوج بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم . قال رجل لسفيان : أهي عائشة ؟ قال: قد ذكروا ذلك .

لأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة ، وأمهات المؤمنين .

وقد عظم تبارك وتعالى ذلك وشدد وتوعد عليه {إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا}

{إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا}

أي مهما تكنه ضمائركم وتنطوي عليه سرائركم فإن الله يعلمه .

قوله عز وجل : {لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ .... } الآية .

لما أمر تعالى النساء بالحجاب من الأجانب ، بين أن هؤلاء الأقارب لا يجب الاحتجاب منهم .

وقد سئل بعض السلف لِمَ لَمْ يذكر العم والخال في هاتين الآيتين ؟

أجاب عكرمة والشعبي : بأنهما لم يذكرا لأنهما قد

يصفان ذلك لبنيهما

عن عكرمة : {لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ} قلت: ما شأن العمّ والخال لم يذكرا ؟ قال: هما ينعتانها لأبنائهما ، وكره أن تضع خمارها عند خالها وعمها .

{وَلَا نِسَائِهِنَّ} يعني بذلك عدم الاحتجاب من نساء المؤمنات.

الحلقة (٤٠)

الآيـــــات :

قال تعالى : {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦) إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا (٥٧) وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (٥٨) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥٩) لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا (٦٠) مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا (٦١) سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٦٢)} .

يستحب عند سماع الأمر الرباني : {يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} أن يصلي القارئ والمستمع لهذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم، يقول صلى الله عليه وسلم حتى لو كان في الصلاة لكن على وجه الإسرار.

وصلاة الله على النبي صلى الله عليه وسلم هي ثناءه عليه عند الملائكة في العوالم العلوية.

وصلاة الملائكة هي أيضا في العوالم العلوية وتكون بالدعاء للنبي صلى الله عليه وسلم.

قال ابن عباس : يصلون أي يبركون.

وروي عن سفيان الثوري وغير واحد من أهل العلم: صلاة الرب الرحمة، وصلاة الملائكة الاستغفار.

قيل يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفنا، فكيف الصلاة ؟ قال: (قولوا اللّهُمَّ صلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللّهُمَّ بارك محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد) .

ومن هنا ذهب الشافعي إلى أن المصلي يجب أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد الأخير، فإن تركه لم تصح صلاته، وهذا المذهب الذي عليه عمل كثير من الناس ، فالناس إذا صلوا يتشهدون في آخر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

والمسألة مختلف فيها ، ما ذهب إليه الشافعي هو على وجه الوجوب، وغيره على وجه الاستحباب

{إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا (٥٧)}

يتوعد الله من آذاه بمخالفة أوامره وارتكاب زواجره وإصراره على ذلك وأذى رسول الله بعيب أو تنقص.

✓ **في من نزلت هذه الآية :**

يقول عكرمة : {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} هم المصورون ، نزلت في المصورين، ويذكر المؤلف حديث عن أبي هريرة يقول: (يقول الله عز وجل : يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر أقلب ليله ونهاره) .

و عن ابن عباس : أنها نزلت في الذين طعنوا في تزويج صفية بنت حيي بن أخطب .

والظاهر أن الآية عامة في كل من آذاه بشيء.

{وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (٥٨)}.

أي ينسبون إليهم ما هم براء منه لم يعملوه ولم يفعلوه .

{فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا} البهت الذي ينقل أو يحكى عن المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه على سبيل العيب والتنقص .

ومن أكثر ما يدخل في هذا الوعيد الكفرة ، ثم الرافضة الذين ينتقصون الصحابة ويعيبونهم بما قد برأهم الله

منه، وأيضا يدخل في هذا دخولاً أساسيا المنافقون

وهنا يفرق المؤلف بين البهتان والغيبة، ويذكر في هذا حديث أبو هريرة رضي الله عنه: (قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ مَا الْغِيبَةُ؟ قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ، قَالَ: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ) .

ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: (أي الربا عند الله أربى؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: أربى الربا عند الله استحلال عرض امرئ مسلم . ثم قرأ : {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا}) .

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥٩)} .

يقول الله تعالى آمرا رسوله صلى الله عليه وسلم أن يأمر نساء المؤمنات بأن يدنين عليهن من جلابيبهن؛ ليتميزن عن سمات نساء الجاهلية أو سمات الإماء.

- **والجلباب** : هو الرداء فوق الخمار .

الجلباب هو الرداء فوق الخمار، الخمار ما يغطي شعر الرأس ويمتد إلى تغطية العنق .

والجلباب هو قدر زائد على الخمار، هو فوق الخمار ،

قال علي: قال ابن عباس: أمر الله النساء إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب. وهذا على ما ذهب إليه بعض العلماء، والبعض الآخر يقتصر على تغطية الرأس دون تغطية الوجه ، المهم أن لا تبدو الزينة وأن لا تظهر وأن لا يكون هناك تبرج .

{ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ} أي إذا فعلن ذلك عرفن أنهن حرائر لسن بإماء ولا عواهر .

{لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ} .

- **يذهب الإمام عكرمة** : أن الذين في قلوبهم مرض هم الزناة .
- **ويذهب آخرون** : أنهم المنافقون .

{لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ} **يقول الإمام علي بن طلحة عن ابن عباس** : أي لنسلطنك عليهم أو لنحرشنك بهم .

وقتادة يذكر أن معناها: لنحرشنك . **والسدي** : أي لنعلمنك . والمعنى متقارب .

{مَلْعُونِينَ} حال . {مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا} أي حالة أخذهم ، أي حيثما وجدوا أخذوا لذلتهم وقلتهم.

{سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ} .

أي هذه سنته في المنافقين إذا تمردوا على نفاقهم وكفرهم ولم يرجعوا عما هم فيه .

{وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا} أي وسنة الله في ذلك لا تتبدل ولا تتغير .